لوحة زيتية لراهبة فرنسيسكانية من مرسلات قلب مريم تزين أعلى الباب الملوكي في كنيسة الدير سنة ١٩٥١

ܒܝܬ ܟܬܒ̈ܐ
ܕܒܝܬ ܡܪܕܘܬܐ

Ex Libris
Beth Mardutho Library

Hagiography: Saints (by ABC)
Beth Mardutho Library

سيرة حياة
الأميرين البطلين الشقيقين
بهنام وسارة الشهيدين

إعداد
الخورأسقف فرنسيس جحولا
رئيس دير مار بهنام

سيرة حياة
الأميرين البطلين الشقيقين
بهنام وسارة الشهيدين

طبعة جديدة منقحة
٢٠٠٥

ليطبـــع

✝ المطران مار باسيليوس جرجس القس موسى

مطران أبرشية الموصل للسريان الكاثوليك

الموصل في ١٠ كانون الأول ٢٠٠٥

جميع الحقوق محفوظة للمعدّ

☜ الطبعة الأولى ٢٠٠٥

☜ طباعة كومبيوتر: مركز مار بولس ـ قره قوش

☜ المصحح اللغوي: يعقوب أفرام منصور

☜ مطبعة الديوان ـ بغداد ـ البتاوين ـ هاتف: ٨٨٦٥٣٧٧

☜ تنقيح وإخراج: المهندسة آن سامي مطلوب

☜ مكتب مجلة الزنبقة .. كنيسة مار يوسف للسريان الكاثوليك ـ المنصور ـ بغداد

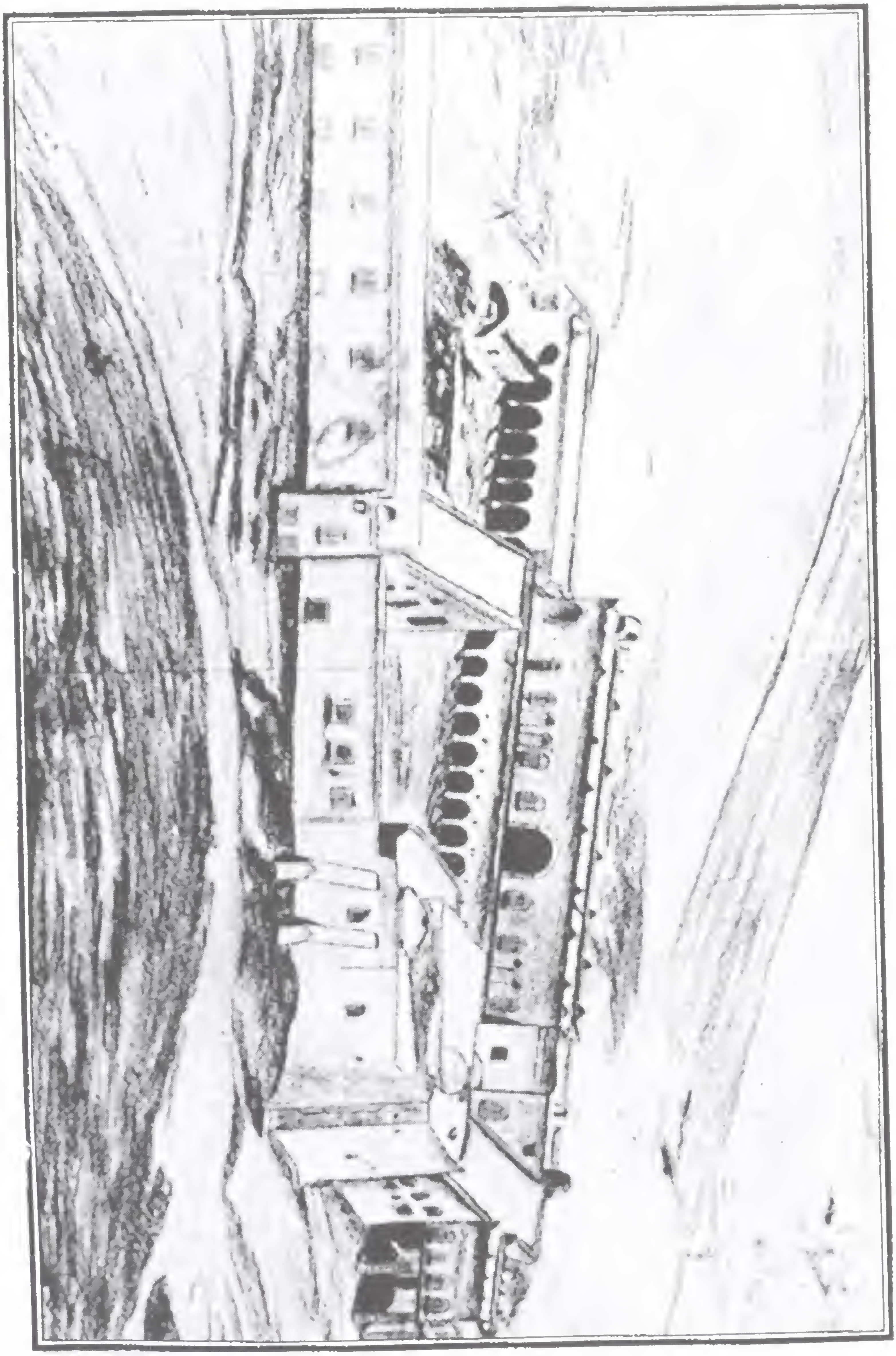

دير مار بهنام - منظر عام

المقدمـــــة

ياما وياما إصطبغت تربة ديارنا الشرقية، على مرّ الأزمان، بدم الشهداء الأبرار "الذين سيقوا كالشاة إلى الذبح"، ومزجوا هذه التربة بدمائهم الزكية، أمانةً ودفاعاً عن الإيمان المستقيم، وحباً بالفادي الإلهي العظيم! والتاريخ حافل بآلافٍ مؤلّفة من أسماء هؤلاء الصناديد، وبأسماء الديورة والكنائس التي شيّدت تخليداً لذكراهم، وتمجيداً للرب الذي كرّمهم ورفع شأنهم، وجعلهم منارات نهتدي بنورها الوهاج عبر الأجيال.

غير أن الزمن جارَ على هذه الشواهد وقضى على أصحابها، فاندرست مَعالِمُها، وكثيرٌ منها أضحى أثراً بَعدَ عين، وكأنها لم تكن، فضاعت أخبارها، واندرست آثارها، وظلّ النزر القليل منها مدفوناً في بطون الكتب للعبرة والتاريخ، ولا يزال لبعضها حتى اليوم رسوم ماثلة، وأطلال بالية، ضاعت معالمها ولم يصل إلينا منها إلا النزر اليسير. وأهم هذه الشواخص الباقية، أثراً وفناً وتراثاً وإبداعاً، دير شرقي مدينة الموصل يرتقي عهد نشأته إلى سَلخ القرن الرابع وصدر القرن الخامس الميلادي، ديرٌ وضيعٌ بمظهره الخارجي، لكنه لؤلؤةٌ فريدة بآثاره النفيسة، وتاريخه الحافل بأمجاد خالدة.

شهد هذا الدير العريق مرور الغزاة الجشعين والفاتحين الطامعين، من الفرس والرومان والتتر والأتراك، فسعدَ حيناً وشقي أحياناً، غير أنه وقف كالطود الأشمّ جباراً عنيداً، يقارع الأحداث صامداً هازئاً بها، فقهرها وخرج منها ظافراً شديد البأس والعزم. وهو اليوم يواصل مسيرته بخطى ثابتة، يدفعه الأمل البسّام، وتكلأه عيون ساهرة، ويغمره حبٌ كبير، مُستمداً قوّته وحيويته من ماضيه المجيد، وهو يرنو إلى مستقبلٍ مزدهرٍ وسعيد ... هذا هو دير مار بهنام الشهيد.

إنّ مَن يزور الدير اليوم لايسعه إلا أن يشعر في قرارة نفسه بهيبته وجلاله، وبما يضمّ من دروس طافحة بذكريات جليلة، ويرى بين جدرانه آثاراً خالدة شادتها تضحية أجيال متعاقبة، وغذاها إيمانٌ مشبعٌ بحبٍ عميق لأممٍ وقبائل، ويرى بينها معبداً يحوي ضريحاً مقدساً تضوع منه رائحة عابقة بعطر المحبة المسيحية الخالصة، وتفوح من رفات الشهداء الأبرار نفحات الطيب والبلسم التي تداوي وتشفي الشقاء البشري. وما تاريخ حياة هؤلاء الأبطال الصناديد، بهنام وسارة ورفاقهم الأربعين، إلا دروساً وعِبَراً وأمثلة حيّة لكل مَن يحب إتّباع ذاك الذي قال:"مَن أراد أن يتبعني فليكفر بنفسه ويحمل صليبه كل يوم ويأتي ورائي". والذي جسّد التضحية في ذروتها قولاً وفعلاً "ما من حبٍ أعظم من هذا أن يبذل الإنسان نفسه عن أحبائِه".

نتمنى أن يكون هذا السِفر الجليل هادياً ومرشداً للقارئ العزيز، ينير دربه في مسالك الحياة الوعرة، ويقوده لإتّباع ذاك الذي قال:"أنا الألف والياء، والطريق والحق والحياة. مَن آمن بي فله الحياة الأبدية، ولن يذوق الموت أبداً".

عـزيزي القارئ ...

أما عن هذه الطبعة الجديدة من كتاب "سيرة حياة الأميرين البطلين الشقيقين بهنام وسارة الشهيدين"، فقد أستقيتُ المعلومات التاريخية من كتاب "اللؤلؤ النضيد في تاريخ دير مار بهنام الشهيد" لمؤلفه الخوري "أفرام عبدال" رئيس دير مار بهنام الأسبق. وكان هذا الكتاب، الذي أعتُمِدَ بصورة رئيسة، قد صدر في طبعته الأولى عام ١٩٥١ ولم تُجدَّد هذه الطبعة، كما استندتُ إلى كتاب "حياة الأميرين المعظَّمين بهنام وأخته سارة الشهيدين" للمؤلّف نفسه، في طبعته الأولى الصادرة عام ١٩٤٩م، ولم تُجدَّد هذه الطبعة أيضاً سوى ما صدر كمختصر لها، على شكل كُتيِّب صغير ومن قِبَل جهات مختلفة.

كما قمتُ بسرد أخبار خمس معجزات أخرى، كنتُ شاهد عيان لها وحققّتُ بها، تضاف إلى ثلاث سابقة، وذلك في فقرة "مار بهنام قديس عجائبي".

والهدف من تجديد ونشر هذا الكتاب الجديد هو إرواء قلوب الشباب العطشى إلى ينابيع الحياة، والتي نهل منها الأمير الشاب بهنام وارتوى. إذ سفك دمه الطاهر على مثال المعلّم الحبيب، ليتشبّه بذاك الذي عُلّق على خشبة الصليب، من أجل افتداء البشر، وبذلك جذب إليه كل إنسان، وهو القائل: "مَن أراد أن يخلّص نفسه يُهلكها، ومن بذل نفسه من أجلي ومن أجل بشارتي فهذا يخلّصها ..". وبذلك يكون الأمير بهنام قد وضع كلام المعلّم الإلهي موضع التنفيذ. إذ ترك أباه وأمّه وأمجاد العالم الزائفة، ليقتني تلك الجوهرة الثمينة التي، من أجل الحصول عليها، باع كل شيءٍ له واقتناها.

الخورأسقف فرنسيس جحولا
رئيس دير مار بهنام الشهيد
في ١٠ كانون الأول ٢٠٠٥

واجهة الكنيسة الغربية داخل الرواق بعد تجديد عام ١٩٩٧

✠ عهد كتابة حياة مار بهنام الأمير ✠

نُسَخٌ عديدة لسيرة مار بهنام محفوظة اليوم في خزانات الكتب العالمية، أقدمها عهداً نسخة عُثر عليها في المكتبة الوطنية في باريس[١]، خطّها قسطنطين بن يعقوب في أنطاكية عام ١١١٢م. ونسخة ثانية في مكتبة لندن[٢]، نسخها عام ١١٩٧م الراهب يوسف من رهبان دير أبي غالب في دير مار برصوما بحمص. ونسخة ثالثة في مكتبة لندن[٣] أيضاً خطّها الراهب زكّى في دير والدة الله ببرية الصعيد عام ١١٩٩م. وهناك في خزانة كتب لندن نسخة رابعة خُطّت في دير والدة الله بجبل الرها في القرن الثاني أو الثالث عشر[٤]. وفي مكتبة برلين نسخة قديمة إعتمدَ عليها الأب بولس بيجان اللعازري بعد أن قابلها بغيرها محفوظة في مكتبة الفاتيكان[٥]، فنشرها في كتابه "أخبار الشهداء والقديسين" المطبوع في باريس عام ١٨٩١[٦].

غير أن واضع هذه السيرة مجهول، ومن المحتمل إنه أحد رهبان دير مار متى. وسيرة الحياة التي بين يدي القارئ إعتمدنا في ترتيبها على هذه المصادر، ونقدمها إلى القراء بثوبها الجديد الجذاب.

أجمع الباحثون المدققون بأنّ هذه السيرة بنصّها الحالي هي من وضع القرن السابع. قال أدي شير: "إنّ كاتب هذه السيرة عاش بعد الجيل السادس"[٧].

ولقد أكد غبطة البطريرك أفرام برصوم، بأنها كُتبت حوالي القرن السابع[٨]. إلا أنّ هذا لا ينفي أنها لم تُكتَب سابقاً بنص آخر لأسباب أخصّها: أن الرهبان كانوا يجدون من أنفسهم دافعاً قوياً لتدوين الأخبار الصحيحة والحوادث المُهمّة التي تقع في عصرهم.

---

(١) مخطوطة باريس رقم ١٨٢، ص ١٨٥.

(٢) مخطوطة لندن عدد ٩٦٠، ص ١١٣٥.

(٣) مخطوطة لندن عدد ٩٦١، ص ١١٣٩.

(٤) مخطوطة لندن عدد ٩٦٩، ص ١١٤٨.

(٥) بيجان، أخبار الشهداء والقديسين، الجزء الثاني، توطئة، ص ١٠.

(٦) [illegible]، الجزء الثاني، ص (٣٩٧-٤٤١).

(٧) كلدو وأثور، الجزء الثاني، ص ٩٣.

وعليه، هل يُعقل والحالة هذه، أن رهبان دير مار متى، وكانوا جمعاً غفيراً في صدر القرن الخامس، قد تغافلوا عن تدوين سيرة معلّمهم الفاضل مار متى، مهملين الحوادث المُهمّة التي رافقت حياته، وعظّمت شأنه، كهداية مار بهنام واستشهاده، وشفاء سنحاريب وبنائه الدير لهم ومعبداً لإبنه الشهيد.

فالأرجح أن النص القديم فُقِدَ يوم اغتصبَ برصوما النسطوري مطران نصيبين، ٤٩٥م، دير مار متى من السريان، وقتل رهبانه وأحرق مكتبته. ومما لاريب فيه إن مصير دير مار بهنام، في هذه الكارثة، كان كحظّ دير مار متى.

أما النص الحالي لهذه الحياة، فقد كُتب بعد إعادة دير مار متى إلى السريان على يد جبرائيل السنجاري ٦١٠م، طبيب خسرو (كسرى) الثاني (٥٩٠-٦٢٨م)، الساعي بكل الوسائل إلى ازدهار دير مار متى بالرهبان السريان، وإذاعة المونوفيزية في آثور وجوارها، وقد ألّفها واضعُها معتمداً على سِيَرٍ مختلفة، كان لها اتصالها الوثيق بحياة مار بهنام، كسيرة مار متى ومار إبراهيم ومار زكّى، ونقلاً عن الروايات. غير إن هذه السيرة نفسها كانت مفقودة من هذه الديار في القرن الثاني عشر، على ما ذهب إليه مار يوحنا مطران ماردين (١١٦٥م)[9]، إلا أننا نجد لها نسخاً عديدة في البلاد النائية، كبرّية الصعيد، ومصر وانطاكية والرها، كما سبق القول.

وهذه السيرة، وقد مرّ على وضعها ألف وثلاثمائة سنة، مطابقة تمام المطابقة لموقع الدير الجغرافي. فهنا أكمة بلحْفها "معبد الجب" يُنـزَل إليه بدرج، يحوي ضمنه ضريح مار بهنام، تزينه قبة ظريفة دُبّجت أطرافها بأجمل النقوش وأصناف الكتابات الإسطرنجيلية والعربية والإيغورية، وتقوم بجانبه كنيسة تعرف بـ "كنيسة دير الجب"[10] أو "دير مار بهنام" الأثرية، رُمِّمت في القرن الثاني عشر[11]، وعلى جدرانها تواريخ لبعض حوادث

---

(8) اللؤلؤ المنثور، ص ١٣٩.

(9) السمعاني، عدد ٣٦، ص ٢٢٣.

(10) ياقوت الحموي، معجم البلدان، الجزء الرابع، ص ١٢٠.

(11) عن لوحة رخامية في جدار قدس الأقداس عن يمين المذبح.

القرن الثالث عشر، وهذه الكنيسة لا نظير لها نحتاً ونقشاً وزخرفاً في البلاد الشرقية مما يعاصرها.

وعلى بعد ثلاثة كيلومترات. بين هذه المقامات واتجاه جبل المقلوب حيث دير مار متى الشهير، عين ماء تعرف بـ "عين سارة" أو "عين الجرب" نسبة إلى شفاء الطوباوية سارة من داء الجذام، ولا تبعد هذه المواقع عن جبل المقلوب أكثر من مسيرة يوم واحد.

أليس هذا دليل على حقيقة هذه الحياة التاريخية، ومصدرها الأكيد، على الرغم مما يجد فيها الناقد من الشوائب أو الهفوات التي أدخلها النساخ المتطفلون عمداً أو سهواً أو جهلاً ليس غير؟. قال البطريرك أفرام برصوم:"إن محصول الناقد من سيرتي مار متى ومار بهنام ضئيل"[١٢].

✠ سنحاريب ملك تاريخي ✠

أفل نجم الدولة الآشورية الرابعة والأخير حوالي عام ٦١٢ ق.م، وقامت على أنقاضها دولتان هما: الدولةالمادية والبابلية.

ثم إن كورش الفارسي الأخميني (٥٥٢-٥٢٩ ق.م) ضمّ إليه الدولة البابلية عام ٥٣٨ ق.م، وقسّم مملكته إلى عشرين ولاية، جعل على كل منها عاملاً. وكان لكل ولاية شيء من الإستقلال في إدارة الشؤون الداخلية ما دامت تبعث برجالها للقيام بالخدمة العسكرية في جيش الملك المعظّم.

ولما خرّت المملكة الفارسية صريعة أمام اسكندر المقدوني، ٣٣١ ق.م، أدام عليهم هذا نحو عشرين ملكاً بقصد الايقاع بينهم، فيأمن اليونانيون غائلتهم[١٣].

وحوالي عام ٢٥٠ ق.م، ثار ارشاق، زعيم الفرثيين في آسيا العليا، وطرد السلوقيين خلفاء الفاتح الكبير عن دياره، وجلاهم عن فارس ومادي وكلدو وآثور.

---

(١٢) اللؤلؤ المنثور في الآداب والعلوم السريانية، ص ١٣٩

(١٣) [illegible] العدد، الجزء ١، ص ٤٨.

وأسّس المملكة الأرشاقية أو الفرثية وعاصمتها "المدائن"، حيث سلمان باك اليوم بقضاء العزيزية ــ محافظة واسط. وكانت تنقسم هذه المملكة إلى ممالك صغيرة، مستقلة الواحدة عن الأخرى، ولكل منها ملك يحكمها ويخضع للأرشاق، لهذا سُمي الفرثيون بملوك الطوائف، لتوزيع أراضيهم بين ملوكيات صغيرة[١٤]. ولسوء الحظ لم تحفظ لنا التواريخ إلا النزر القليل من أخبار هذه الدول التي تشكّلت قبل المسيح بزمن، ودامت إلى ما بعد المسيح بأجيال قليلة.

ومن أشهر هذه الممالك إمارة حدياب، وكانت تشمل ما بين الزابين وتمتد إلى آثور (شرقاط)، وإلى نصيبين وقاعدتها أربيل. وكانت حدياب، على ما قال السمعاني[١٥]، البقعة الأشرف موقعاً والأهم سياسة في جميع بلاد آثور، واسمها يشمل جميع الأصقاع الآثورية. ولا يعرف التاريخ أسماء ملوكها وحوادثهم مفصّلاً، إلا أن يوسيفوس المؤرخ ذكر اسم أحدهم وهو ايزاط، الذي ملك في الجيل الأول للمسيح[١٦]، ثم وردت في تاريخ مشيحزخا[١٧] أسماء بعضهم، منهم سهراط ونرساي الذي ملك إلى أوائل الجيل الثالث بعد المسيح، وقد مات غريقاً في الزاب الكبير، لما خَرَّبَ بلاده ونهبها الغاش الرابع (١٩١–٢٠٨ م) ملك الفرثيين، لأنه أبى مرافقته في حملته على الفرس الثائرين عليه.

وفي سنة ٢٢٦م، ثار أرداشير بن بابك من آل ساسان على الفرثيين، وتغلب عليهم، وأسس المملكة الفارسية المعروفة بالساسانية، متخذاً لنفسه لقب "ملك الملوك". ومن الذين تحزّبوا له، وناصروه على الفرثيين، شهراط ملك حدياب. ولهذا فلا يُستَبْعَد أن تكون هذه المملكة قد تمتعت باستقلالها الداخلي ودامت طويلاً تحت حكم الساسانيين، وإن سنحاريب، والد مار بهنام، هو أحد ملوكها[١٨]. وعن سنحاريب هذا، جاء في تاريخ الرهاوي المجهول: وفي هذا الزمن، ٣٥٩م، استشهد مار بهنام وأخته سارة على يدي أبيهم

(١٤) المسعودي، الجزء ١، ص ١٠١.
(١٥) السمعاني، مجلد ٣، ص ٢.
(١٦) دوفال، تاريخ الرها، ص ٤.
(١٧) مشيحزخا، ص (٢٥ و٢٨ و١٦٨).
(١٨) تاريخ الموصل، الجزء ١، ص (١٤–٢٥).

سنحاريب ملك آثور[١٩]. وقال هذا المؤلف أيضاً، نقلاً عن رسالة يوليانس الجاحد إلى القديس باسيليوس حينما أزمع على محاربة شابور:"إني مستعد للتوجه إلى بلاد الفرس لأقهر سنحاريب حفيد داريوش، وأُجبره أن يؤدي لي الجزية ويخضع لي صاغراً"[٢٠]. وعلّق المؤرخ المذكور هنا، قال فيها: يتصل نسب سنحاريب بداريوش، معاصر اسكندر الكبير. وهذا سنحاريب والد مار بهنام، وكان يسكن يومئذٍ آثور. أما شابور فكان مركزه في بلاد الفرس السفلى[٢١]. وهذا شابور كان قد قسّم مملكته إلى عدة إمارات، وعلى رأس كل منها عامل.

والخلاصة: إن المملكة الفارسية ظلّت، خلال قرون طوال، مقسّمة إلى عدة "إمارات" أو "ممالك صغيرة"، مستقلة الواحدة عن الأخرى. ولكل منها عامل أو "ملك" يعيّنه الملك الأعظم، يتمتع ببعض الإستقلال الداخلي، ويخضع للملك الفارسي "ملك الملوك".

فيكون "سنحاريب"، الوارد ذكره في تاريخ الرهاوي ورسالة يوليانوس المعاصر له، وفي ترجمتَي مار بهنام ومار متى الشيخ، هو أحد هؤلاء الولاة أو "الملوك". إذ إن "العمال العظام" على "الولايات الكبرى" كانوا يُدعَون في ذلك العهد "ملوكاً"، وإن كانوا خاضعين لملوك فارس[٢٢].

ويبدو أن سنحاريب هذا كان قائداً حازماً عنيداً، يدافع بعزم وشدة عن الحدود التي عُهِدت إلى جَدارته، وإلا لما ألمع يوليانوس الجاحد إلى شنّ غارة عظيمة على بلاده.

وإذا لم نتمكن إلى الآن من العثور على أخبار الأعمال التي قام بها سنحاريب. فلربما يرجع ذلك إلى ضياع مخطوطات لا تُحصى من جرّاء الحوادث والحروب المتواصلة بين الإمبراطوريتين الرومانية والفارسية. فضلاً عن اضطهادات الملوك الساسانيين للنصارى، وقد دُمّرت خلالها البيع والأديار مع مكتباتها النفيسة والغنية بالمخطوطات

---

(١٩) الرهاوي المجهول، رحماني، ص ٨٩.
(٢٠) الرهاوي المجهول، الجزء ١، رحماني، ص ٩٠.
(٢١) ميخائيل ... الرهاوي المجهول، الجزء ١، ص ٩٠.
(٢٢) راجع ذخيرة الأذهان، الجزء ١، ص ٨٩.

التاريخية، ثم أعقبتها غارات التتر المتوالية على الديار الشرقية، ودامت قروناً، فمحقت كل المعاهد وأزالت معالمها.

ولكن ذكر الإمبراطور يوليانوس الجاحد لاسم سنحاريب، وتوعّده بتجهيز حملة عظيمة ضده، لأكبر دليل على شهرة الملك سنحاريب حتى في الإمبراطورية الرومانية في ذلك الحين.

✠ قاعدة إمارة سنحاريب ومسقط رأس مار بهنام ✠

كانت البلاد الآشورية في غابر الأزمان مصدر المدنية، وأراضيها عامرة بأرقى الشعوب حضارة، ومن مدنها الكبرى: "نينوى" العظيمة، حيث أُكتُشِفَت قصور شاهقة فخمة، وأيضاً المكتبة الملكية التي كانت تتألف من عشرين ألف كتاب. و"كالح" الواقعة جنوبي نينوى على بعد ٣٥ كيلو متراً منها، حيث أطلال نمرود. و"آشور" حيث شرقاط اليوم. وقد جُعلت هذه المدن وغيرها عام ٦١٢ ق.م ردماً ينعق البوم فوق أطلالها، وسيق مَن بقي من سكانها سبياً إلى بابل حيث أقاموا، إلى أن قوّض كورش الفارسي أركان الدولة الكلدانية وضمّها إلى تاجه عام ٥٣٨ ق.م. ومن ثمّ فك قيودهم وأباح لهم حريتهم، فعادوا إلى أوطانهم عام ٥٣٥ ق.م وعمّروا آشور. ومنها مدينة كابي "قرية كابي حرامي، اليوم"، والعرب يسمونها الحديثة، وموقعها قرب حمام العليل[٢٣].

وأما نينوى الجديدة، حيث موقع النبي يونس اليوم، فلا يعلم أحد متى وكيف تأسّست، خصوصاً وأن التاريخ يسكت عما عمّره الآشوريون عند عودتهم من الجلاء، خلافاً لما ذكرناه.

بيد إنه جاء في سيرة مار بهنام اسم مدينة تدعى آثور كان يقيم فيها سنحاريب، وهي قاعدة إمارته: حينئذ أخذ القديس متى واحداً من الرهبان، ونزلا من الجبل وقصدا

(٢٣) راجع تاريخ الموصل، الجزء ١: ص (٣٧-٣٨).

مسيرة يوم، فوصلا إلى سهل قريب من مدينة "آثور"، فآثر القديس أن يمكث هناك لأنه لا يريد الدخول في البلد[٢٤].

وجاء أيضاً: واستصحب مار متى خمسة إخوة، وما عتّموا أن وصلوا حيث مقتل شهداء المسيح، فوقفوا، وجثوا على ركبهم، وابتهلوا إلى الله تعالى، ثم واصلوا سيرهم الى مدينة "آثور"[٢٥].

ومما يؤيد ذلك، كتابة إسطرنجيلية قديمة محفورة على جدار كنيسة دير مار بهنام في الناحية الجنوبية جاء فيها: في السنة **١٢٩٥م**، وافى قآن بيدو الملك المظفر، قريباً من "آثور" مدينة القديس مار بهنام. وجاء أيضاً في تاريخ الرهاوي المجهول: وفي هذا الزمن، سنة **٣٥٩م**، هرب مار متى من آمد "ديار بكر" مع تلاميذه، وتوجه نحو جبل الألوف قرب آثور ونينوى[٢٦].

إذن تحقّقَ وجود مدينة في ذلك العهد تدعى "آثور"، ولربما كانت مسقط رأس مار بهنام، وعاصمة ولاية سنحاريب.

وكان ملوك حدياب يقيمون قديماً في أربيل، بينما نرى سنحاريب يسكن في مدينة جديدة تدعى"آثور"، فمتى وكيف صار هذا الانتقال؟.

إننا نجهل الأسباب الحقيقية لهذا الطور، ولعلّ هذا كان بعد أن دمر الغاش الرابع ملك الفرثيين مدن حدياب، ونهبها انتقاماً من ملكها نرساي، لأنه لم يرافقه في حملته على الفرس الثائرين عليه[٢٧]. أو ربما كان هذا التبدل بعد تغلب الساسانيين على الفرثيين عام **٢٢٦م**، واستيلائهم على هذه البلاد. وكان قد تحزّب لهم شهراط بن نرساي، فعمّروها وجعلوا هذه المدينة (أي مدينة آثور)، مع الأيام، قاعدة لهذه الديار، لقربها من الحدود حتى تكون سدّاً منيعاً لصد غارات الرومان الطموحين.

---

(٢٤) بيجان. الجزء ٢، ص ٤٠٧.

(٢٥) بيجان. الجزء ٢، ص ٤٢٥.

(٢٦) الرهاوي المجهول. رحماني. ص ٨٩.

(٢٧) تاريخ الموصل، الجزء ٢. ص (١٩-٢٠).

موقع مدينة (آثـور)

لا يقصد بلفظة "آثور" في العبارات الآنف ذكرها، البلاد الآشورية التي كانت تشمل ما بين الزابين إلى آشور (شرقاط) وإلى نصيبين، بل مدينة تدعى بهذا الاسم. ثم إن مدينة "آثور" هذه، ليست بمدينة آشور القديمة المندرسة، حيث شرقاط اليوم وللأسباب الآتية:

أولاً: لوقوعها على الجانب الآخر من نهر دجلة.

ثانياً: لبعدها عن موقع الدير بُعداً يجعل حادث مار بهنام متعذّر الوقوع بالنوع الذي تمّ به. فمن الغريب والصعب أن يعبر مار بهنام ورفاقه نهر دجلة العظيم، وأن يتوغلوا داخل هذه البلاد مسيرة أيام طلباً للصيد. وهذا مناقض لما جاء في السيرة، بكون هذه المدينة لا تبعد عن جبل المقلوب أكثر من مسيرة يوم واحد[٢٨]. ونرى أيضاً مار بهنام ورفاقه مغادرين هذه المدينة وقد حلّوا عند أكمة قريبة منها، وبلحف هذه الرابية نالوا إكليل الشهادة[٢٩]، حيث معبد الجب والدير. وجاء أيضاً: إن مار متى وصل إلى سهل قريب من هذه المدينة حيث "عين سارة" اليوم.

ثم أن سنحاريب، بعد تنصّره، شيّع مار متى حتى مقتل الشهداء[٣٠]، وهذا كله يتعذّر تحقيقه لو فرضنا أن مدينة "آثور" واقعة حيث شرقاط اليوم.

وجاء أيضاً: إن مدينة آثور هذه كانت ملاصقة لنينوى "هرب مار متى من آمد مع تلاميذه، وتوجه إلى جبل الألوف قرب آثور نينوى".

فاستناداً إلى هذه البيّنات، يتحتم أن تكون مدينة آثور هذه قريبة من دير مار بهنام الحالي، ولا تبعد عن جبل المقلوب أكثر من مسيرة يوم واحد، وإن مسرح أعمال حادث مار بهنام وأخته ورفاقهما قد تمت ما بين هذه المدينة وجبل المقلوب.

وبناءً على ذلك نقول: إن كل الظواهر والأدلة والقرائن تحمل على الظن، بل تدل دلالة صريحة، على إن مدينة "آثور"، وطن مار بهنام وعاصمة إمارة سنحاريب، هي

(٢٨) بيجان، الجزء ٢، ص ٤٠٧.
(٢٩) بيجان، الجزء ٢، ص ٤٢٢.
(٣٠) بيجان، الجزء ٢، ص ٤٢٧.

حيث أطلال "نمرود" اليوم. ونمرود هي "كالح" القديمة، على ما أكد العلامة رولنصون[٣١]، وكان قد أسس هذه المدينة شلمناصر الأول (١٢٩٠-١٢٦١ق.م) ونقل إليها عاصمة مُلكِهِ، وبنى فيها هو وبعض خلفائه قصوراً شاهقة، محاها آشور ناصربال الثالث (٨٨٥ ــ ٨٦٠ق.م) وشيّد مكانها قصوراً وهياكل أعظم منها. فبنى زقورة عظيمة، لنينيب إله الحرب، ذات سبع طبقات وارتفاعها نحو سبعين متراً، وقصراً فخماً على دجلة كان له عدة أبواب، على جوانبها تماثيل أسُود فاتحة أفواهها للإفتراس، أو تماثيل ثيران عظيمة، لها رأس إنسان وأجنحة طير، إلى غير ذلك من الصور والنقوش المتنوعة والكتابات المسمارية العديدة.

وجلب آشور ناصربال، إلى هذه المدينة، الزاب الكبير في قناة، وغرس على جانبيها بساتين كثيرة وخمائل رائعة، فيها أشجار متنوعة، وداخلها قصور جميلة للصيف، كما حققت ذلك اكتشافات هنري لايرد الإنكليزي سنة ١٨٤٨ .. هذه كانت مدينة "نمرود" في إبان عزّها.

ولا يزال قسم من هذه الآثار موجوداً حتى اليوم، منها: الزقّورة، وهي تحت ردم على شكل هرم، وتماثيل بعض الثيران المجنحة، وعدة مقصورات جدرانها من قطع رخام طول كل منها نحو مترين بعرض مثلها، وعلى بعضها كتابات مسمارية رائعة.

فزيارة هذه المواقع لا تخلو من فائدة علمية لمحبي الآثار والعاديات. وقد قامت في الخمسينيات بعثة إنكليزية بالتنقيب فيها، فاكتشفت آثاراً قيّمة، وواصلت تنقيباتها هذه عدة سنوات؛ بعد هذا نقول: لا أثر البتّة، في هذه الديار، لأطلال عمران، غير الآنف ذكرها. وعليه نرى أن مدينة "آثور" الجديدة كانت حيث أطلال مدينة "كالح" اليوم، أو هي مدينة نمرود نفسها، وقد أُطلق عليها تارة اسم "نمرود"، وعُرفت طوراً بمدينة "آثور"، وهي كانت عامرة آهلة في العهد الساساني وما بعده بأجيال. إذ ورد في كتاب "العفّة" ليشوعدناح البصري (نهاية الجيل الثامن): أن الأنبا يوسف حزّايا هو فارسي الأصل، ومدينته تدعى "نمرود". ولما كان عمر بن الخطاب، ٦٣٤م، ماسكا صولجان مملكة

Rowlinson. Five great monarchies of Ancient world. Vol. 1, 1862, 313. [٣١]

العرب، رَفعت عليه هذه المدينة لواء العصيان ولم تفتح له أبوابها .. ولما كان الأنبا يوسف المذكور رئيس دير بختيشوع المدعو "دير مركانا" بجوار قرية "زيناي"، أتى إليه أخوه عبديشوع من "نمرود مدينته"، وتقبّل العماد، واعتنق النسك[٣٢]. وبقيت عامرة حتى العقد الرابع من القرن الثالث عشر، إذ نجد ذكرها باسم مدينة "آثور" في كتابة تاريخية على جدار كنيسة دير مار بهنام الجنوبية، وقد دمّرتها الجيوش التترية الغازية عام ١٢٩٥م.

وقد جاءت اكتشافات البعثة الآثارية الإنكليزية، آنفة الذكر، مؤيّدة لوجود هذه المدينة في هذه القرون، إذ عثرت خلال تنقيباتها على آثار ساسانية.

فلم يبق إذن مجال للإرتياب إن مدينة "نمرود" هذه، وبتعبير آخر مدينة "آثور"، كانت عامرة في القرن الرابع الميلادي، وهي كانت موطن الأمير الشهيد وعاصمة ولاية سنحاريب في تلك الحقبة.

فموقعها مطابق تمام المطابقة لِمَا جاء في سيرتَي مار بهنام ومار متى. فهي على خط مستقيم وجبل المقلوب. ومقتل الشهداء قريب منها، لايبعد عنها إلا بضعة كيلومترات، وكذلك "عين سارة"، حيث توقف مار متى منتظراً رجوع مار بهنام بأُخته الطوباوية لشفائها. وهذه كلها واقعة باتجاه واحد، متسلسل في الشقة القائمة بين هاتين نقطتَي الإتصال، أي من اطلال نمرود إلى جبل المقلوب، والمسافة بينهما لا تزيد على مسيرة يوم واحد[٣٣].

فهذه كلها أدلة ناصعة، وبراهين واقعية قاطعة، على إن مسقط رأس مار بهنام وعاصمة ولاية سنحاريب كانت حيث أطلال مدينة نمرود. وبرهاناً على ذلك، إن التقليد السائد حتى اليوم بين طبقات القبائل المختلفة في هذه الديار، يؤيد هذا الرأي، ويثبت هذا الإعتقاد.

---

[٣٢] الديورة في مملكتَي الفرس والعرب، ليشوعدناح البصري؛ نقله إلى العربية المطران بولس شبحو، ص (٧٥-٧٦).

[٣٣] راجع سيحانا، الجزء ٢، ص (٤٠٧-٤٢٨).

✠ تاريخ استشهاد مار بهنام ✠

جاء في سيرة مار بهنام إن الأمير وأصحابه إستُشهدوا في أيام يوليانوس الجاحد سنة ٣٥٢م. وروى المؤرخ الرهاوي المجهول:"وفي هذا الزمن، عام ٣٥٩م، هرب مار متى من منطقة آمد، ديار بكر، مع تلاميذه وتوجّه نحو جبل الألوف، قرب آثور ونينوى[٣٤]"، وزاد قائلاً:"وفي هذا الزمن أيضاً استُشهد مار بهنام". وقد وُجِدَ تاريخ نُقِشَ على جدار كنيسة مار بهنام، بجزيرة ابن عمر، إن القديس نال إكليل الإستشهاد عام ٣٨٢م.

فهذا الاختلاف الوارد بين المصادر التاريخية، ليس بغلطة تاريخية يُعتدّ بها، إنما يُعزى إلى جهل النُسّاخ بالوقائع التاريخية، أو إلى زلّة قلم، أو يمكن القول إنه صادر عن خطأ وقع في النسخ لتشويه أصاب المتن، وقد يكون توهّماً في الحروف الكتابية، لخلوّ الكتابة في الأزمنة الغابرة من الضوابط اللغوية أو الفوارق والتشكيل؛ وفي ظننا أنّ هذا نتيجة طبيعية لكثرة تداول هذه السيرة، وتَعَدُّد كتّابها في أزمان متباينة وأقلام غير أكيدة.

وهناك حقيقة تاريخية راهنة، هي: إن مار متى التجأ إلى هذه الديار هَرباً من الاضطهاد الذي أثاره يوليانوس الجاحد على الديانة المسيحية، ويوليانوس تبوّأ عرش الإمبراطورية الرومانية في قسطنطينية للفترة (٣٦١-٣٦٣م)، فيكون حادث مار بهنام حتماً بعد مصرع هذا الجاحد ببضع سنوات، على أقل تقدير. لأن مجرى الأمور الطبيعية يفرض فترة من الزمن بين التجاء مار متى إلى جبل المقلوب، حيث عاش في بادىء الأمر محتجَباً عن الأنظار، وبين هداية مار بهنام واستشهاده. فالظاهر إن مار بهنام هو من ضحايا إضطهاد شابور الأربعيني (٣٣٩-٣٧٩)، وقد عاجل سنحاريب أبوه بالقضاء عليه، خوفاً من شابور وظنّاً منه بشرفه ومركزه. وقد كان هذا في أيام هذا الطاغية الأخير، حوالي عام ٣٧٢ وما يليه.

أما عدم ورود تاريخ حياة مار بهنام في كتاب قصص الشهداء، الذي عُني بجمعه مار ماروثا مطران ميافرقين، إحدى مدن ما بين النهرين القريبة من ديار بكر سنة ٤١٠م.

---

(٣٤) الرهاوي المجهول، الجزء ١، ص ٨٩.

فلا يثير ارتياباً في صحة وقوع هذا الحادث، إذ روى سوزمين، المؤرخ اليونـــاني[٣٥]: إن الشهداء المقتولين في الاضطهاد الأربعيني الشابوري، والمعروفة أسماؤهم فقط، يبلغون نحو ١٦٠ الفاً، أما المجهولون فلا يُحصى عددهم. وإن الفرس والسريان والرهاويين لم يتمكنوا من معرفة أسمائهم وتعدادها، مع أنهم اعتنوا بذلك كثيراً.

وروى ماري المؤرّخ، ويشوعياب النصيبيني وعمرو[٣٦]: إن المقتولين بأمر شابور يجملون نحو ١٨٠ الفاً، فتأمّل! فمِن هذا العدد الهائل لم يذكر مار ماروثـــا إلا النـــزر القليل، وفاتته أخبار الشهداء الآخرين، إذ لم يتوصل الى معرفة أسمائهم وعددهم ومواضِع استشهادهم.

ومار ماروثا نفسه يُقرُّ معترفاً بأنه لم يكتب إلا قليلاً من كثير، وإنه كتب جهـــاد الذين إستُشهدوا في الديار القريبة منه فقط، بينما تعذّر عليه معرفة أسماء الآخرين وإحصاء عددهم والوقوف على العذابات التي قاسوها. ولهذا وصف ما كابدوه من الآلام المريعـــة والعذابات القاسية بصورة عامة إجمالية، من غير تخصيص أو تفرقة[٣٧].

فحادث مار بهنام لم يصله خبره لأنه كان محلياً، أو بعيداً عن المراكز المهمّة والمدن المعروفة التي مرّ بها مار ماروثا، ولهذا لم يرد ذكره في كتابه. وقد إشتهر أمره بعـــد عهـــد قريب على يد الرهبان السريان، عندما شاء الله أن يُمجّد هذا القديس بالكرامات. فعدمُ ذكره إذن في مجموعة قصص الشهداء ليس من شأنه أن يؤثّر في صـــدق هـــذا الحـــادث التاريخي الخالد.

---

(٣٥) التاريخ الكنسي ٢:ك ١٤.

(٣٦) أدي شير، الجزء ٢، ص ٦٦.

(٣٧) راجع بيجان، الجزء ٢، ص (٣٩٤-٣٩٦).

✠ تسمية مار بهنام بـ (خضر الياس) ✠

المقصود بكلمة "خضر": نبي أو قديس أو وليّ، ويُراد بها خصوصاً كل قوة تـأتي بأعمال خارقة وكرامات. أما المقصود بـ "خضر الياس": فهو إيليا الـنبي المـذكور في التوراة. وقد سُمّي بالخضر لاجتراحه العجائب، ثم أُطلقت هذه التسمية، إستعارةً، علـى غيره من صانعي المعجزات، منهم: مار جرجس ومار بهنام الشهيدان.

تاريخ هذه التسمية إلى مار بهنام

إن تسمية مار بهنام بالخضر ليست وليدة اليوم، بل هي قديمة العهد عريقة، نراها لأول مرّة منقورة بالحروف الإيغورية، التركية القديمة، في أعلى قمة الضريح الرخامية "في الجب"، وقد نُحتت نحتاً نافراً على الحجارة عند تركيبها عام ١٣٠٠م، وإعادة رفات مار بهنام من كنيسة الدير إلى الجب، مقرّها الأول ومحل إستشهاده.

إننا لا نجد أثراً لهذه التسمية في التاريخ قبل هذا العهد، خـصوصاً وأن يـاقوت الحموي، ١٢٢٨م، لا يسمّي الدير بغير "دير الجب"[٣٨]. إذن هذه التسمية تأخذ مبدأها من العهد التتري في هذه الديار، أي منذ العقد الثاني من القرن الثالث عـشر للتـاريخ الميلادي، وربما قبل ذلك، والظاهر إنها لم تكن شائعة.

سبب هذه التسمية

ليس لدينا مصادر تاريخية لمعرفة السبب الحقيقي لهذه التسمية، وكل مـا هنـاك فرضيات وتخمينات. روى بادجر، المستشرق الإنكليزي[٣٩]: إن الرهبان نسبوا دير مـار بهنام إلى خضر الياس، حتى يأمنوا غائلة الغزاة. أما بونيون، المستشرق الفرنسي[٤٠]، فيرى

---

(٣٨) معجم البلدان، المجلد الرابع، ص ١٢٠.

(٣٩) The Nestorians and their Rituals, Badgar. Vol 1, P. 142.

(٤٠) Inscriptions Semetiques, Pognon, Paris. P. 142.

أن نسبة مار بهنام و مار جرجس إلى الخِضْر، هي من إختراع الرهبان أيضاً، لدفع عدوان التتر عنهم.

هذا، وناهيك، إنه كان في الديار الشرقية معابد أخرى عديدة، موسومة باسم مار جرجس، والتاريخ لم يذكر باحترام التتر إياها. فالسبب الوحيد الذي نراه في تسمية مار بهنام "الخضر"، هو كثرة العجائب التي أجراها الله تعالى على يد صفيّه بهنام منذ قديم الزمان.

وقد عرفه العرب والتتر بهذه الصفة، في أثناء فتوحاتهم، فأَجَلُّوه واحترموه. وهذا ما شجّع الربّان يعقوب[٤١]، رئيس دير مار بهنام عام ١٢٩٥م، ليقصد القآن بيدو، ملتمساً منه رد ما سلبته جيوشُهُ من الدير، وقد فاز بالمرغوب. علاوة على ذلك، جاء القآن بنفسه لزيارة الدير، مؤدياً الإكرام، ومقدّماً الهدايا، وقد طلب أنْ يُسطَّر على قبة الضريح هذا الحادث، واضعاً نفسه، وقادته، وحَرَمَهُ، في حِمى خضر الياس[٤٢].

مار بهنام في اعتقاد اليزيديين

لدير مار بهنام وقبره مركز جليل ومقام متميز عند اليزيديين، ويسمّونه "دير خضر الياس"، حيث يقومون بواجب الصيام لمدة ثلاثة أيام سنوياً إكراماً وإجلالاً لهذا القديس العظيم، وبعدها يحتفلون بعيده احتفالاً كبيراً.

ولهذا يتوافد اليزيديون لزيارة هذا الدير زرافاتٍ ووحداناً بهداياهم، ويجلّون ويقدّسون كل ما له صِلة به. أما مصدر هذا الاعتقاد، فأغلب الظن أنّه جاءَهم من مجرّد تسمية دير مار بهنام بـ"دير خضر الياس" منذ القِدم.

---

(٤١) عن كتابة إسطرنجيلية محفورة في جدار الكنيسة الجنوبي.

(٤٢) عن كتابة إيغورية منقورة في أعلى الضريح بالجص.

✠ مار بهنام قديس عجائبي ✠

كما صار قبر المسيح ممجَّداً بقيامته الكريمة، هكذا أصبح مثوى مار بهنام مجيداً، كريماً، بالعجائب العديدة والآيات الباهرة، التي شاءت العناية الإلهية إجراءَها بشفاعته على توالي الأيام ٠٠ إن التاريخ والواقع يؤيدان ما إليه نحن ذاهبون، وإليك:

أولاً: الأدلة التاريخية التي تثبت إن مار بهنام هو قديس عجائبي قدير

١. **فقرات من ترجمة هذا القديس**: فقد جاء فيها أن المرضى والسقماء نالوا الشفاء بالتجائهم إلى أولئك الشهداء، واستفاض خبر الأشفية التي جرت على أيديهم في بلاد العجم بأسرها، وأخذت الناس تتقاطر لطلب الشفاء من كل حدب وصوب. وما مضى زمنٌ طويل حتى كثر عدد الزوار، ولم يكن موضع يجتمعون فيه. حتى شاد لهم اسحق الفارسي بيوتاً على أثر شفاء عبده الممسوس، وما برحت الكرامات تجري على أيديهم، وتُعين كل مَن لاذَ بذخيرة عِظامهم[٤٣].

٢. **الكتابات الآثارية**: على جدران كنيسة الدير الرخامية وأرتجتها، وفي معبد الضريح، كتابات عديدة إسطرنجيلية قديمة العهد، محفورة أو منقورة، إنْ هي إلا صرخة النفوس الأليمة البائسة، والقلوب الجريحة المستنجدة المستغيثة بالشهيد المعظم، منها:

ها إنّ المرضى يقرعون بابكَ، راجين شفاعتكَ، ليبرأوا من أسقامهم. يا طبيب الرحمة، ليحلّ حنوّكَ، ويُجبر كلومهم. لقد جُعلَ ديركَ ينبوعاً للمراحم، وضريحكَ فيه كالشجرة الحاملة ثماراً. لقد جُعل ضريحُك معيناً دفّاقاً. تجري منه جميع أنواع المساعدات، يقصده المرضى فينالون الشفاء، أنتَ ميناءٌ مفعمٌ حنوّاً ومساعدة. كل من يقصد عتبتك

[٤٣] بيجان، أخبار الشهداء والقديسين، المجلد الثاني، ص (٢٣٢-٢٤٠).

يفوز بالأمان. السلام عليكَ يامانح الشفاء لجميع السائلين. السلام عليكَ يا ينبوعاً تفيض منه الفوائد للمعذبين البائسين.

٣. **شهادات المؤرخين**: قال مار يوحنا مطران ماردين (١١٢٥-١١٦٥): إن المعجزات التي يجترحها مار بهنام المغبوط في عصرنا هذا، والكرامات التي يصنعها في جميع الذين يستغيثون به بثقة وإيمان، تحاكي عدداً تلك التي كانت تُجترَح في عهد الرسل[٤٤]. وقال ياقوت الحموي، ١٢٢٨: دير الجب دير شرقي الموصل، مشهور، يقصده الناس لأجل الصرَع ويبرأ منه بذلك كثير[٤٥].

٤. **شهادات الشعوب الشرقية**: دليلها، الكنائس العديدة التي أقامها المسيحيون في مختلف الديار الشرقية القاصية والدانية، تبرّكاً باسم مار بهنام واستمداداً لشفاعته، منها: كنيسة في بلاد الحبشة[٤٦]، فالقاهرة (مصر)[٤٧]، فدمشق الشام[٤٨]، فطرابلس الشام (لبنان)[٤٩]. هذا باستثناء الديار الأخرى كماردين (تركيا)[٥٠]، وجزيرة ابن عمر (تركيا)[٥١]، وأربيل (العراق)[٥٢].

٥. **المخطوطات**: هناك في خزائن الكتب العالمية مخطوطات إسطرنجيلية ترجع إلى القرن الثاني عشر وما يليه، تُلقّب الأمير الشهيد بـ: طارد الشياطين، قاهر الأبالسة، وشافي المرضى[٥٣].

---

(٤٤) السمعاني، المكتبة الشرقية، المخطوطة عدد ٣٦، ص ٢٢٣.

(٤٥) معجم البلدان، [illegible] الرابع، ص ١٢٠.

(٤٦) قاموس الجغـ[illegible] والتاريخ الكنسي، المجلد ٧، ص ٤٧٧.

(٤٧) مخطوطة برلين، عدد ٢٥٩، ص ٧٩٠.

(٤٨) مخطوطة باريس، رقم ٢٢٨، ص ١٧٦.

(٤٩) تاريخ ابن العبري المدني، طبعة بيجان، ص ٨٤.

(٥٠) مخطوطة باريس، عدد ٢٧٦.

(٥١) عناية الرحمان، ص ٣٦٣.

(٥٢) السمعاني، المكتبة الشرقية، الجزء ٢، ص ٤٥٣.

(٥٣) مخطوطة باريس، عدد ٣/٢٣، ص ١٨٢. لندن، عدد ٩٣١، ص ١١٨٠ و٩٦٠/٧٠، ص ١١٣٥ و٩٦٤/٣، ص ١١٤٦. برلين، عدد ١٥٤، ص ٤٨٠. السمعاني، المكتبة الشرقية، عدد ٣٦، ص ٢٢٣.

ثانياً: الواقـع

وعصرنا هذا ليس بأقل حظاً من الأجيال السالفة، فقد شاء سبحانه وتعـالى أن يحصل أناس كثيرون على مختلف النِعَم بالتجائهم إلى هذا القديس العظيم، وما يُروى عنه من الخوارق يكاد يفوق هذه الكثرة، نثبت منها على سبيل المثال، ثماني عجائب ظهـرت على فترات مختلفة:

❖ الأعجوبـة الأولـى:

حدثت عام ١٩٠٦، لـ "فتح الله بن عبد الأحد نعمان مطلوب" الموصلّي. كان المذكور مصاباً بداء الخنزيرة، وأعضل شفاؤه على نطس الأطباء، فلاذ بحِمَـى قديـسنا المعظم، وأقام في ديره نحو أسبوعين متضرعاً مستغيثاً. وبينما كان ذات يوم منطرحاً عنـد الضريح، مستنجداً بحرقة قلب وإيمان عظيم، إذا برجل متوشّح بياضاً ظهر له، ومدّ إليـه يده قائلاً: "قم، إنني مبرئُكَ باسم المسيح". ومدّ الأخرى تحت إبطه، فقام معافى. وقد مكث أخاً عابداً وعاملاً في الدير مدة ٢٥ عاماً، وخلف فيه آثاراً عمرانية منها: بناء بئر البستان ومنـزلاً بجانبها، وعنباراً صغيراً للغلّة. ومشاركات أخرى، ناذراً نفسه لخدمة الدير بقية حياته ولحين وفاته في ٣٠ أيار عام ١٩٥٤، وأُودع جثمانه في صدر رواق الكنيسة الغربي.

❖ الأعجوبـة الثانيـة:

حدثت لامرأة مسلمة تدعى "نائلة" بنت قورما، من قرية الخضر المجاورة للدير، بتاريخ ٣ تموز سنة ١٩١١، وقد نشرتها مجلة "البشير" في عددها الصادر في ١٤ تشرين الثاني من السنة نفسها بعنوان "حادث عجيب". أُصيبت نائلة بأوجاع مبرحة في الـدماغ ذهبـت ببصرها، ولم ينجح فيها علاج، فالتجأت إلى ضريح القديس. وقد قادها إليه بعد الظهيرة بعض أقاربها. وما إنْ رقدت ساعة، حتى ظهر لها القديس وفتح عينيها لنـور الـشمس. فنهضت للحال، تعدو إلى بيتها بلا دليل. فاجتمع أهل القرية، وهم مـسلمون. وأتـوا بالضحايا وذبحوها إزاء ضريح القديس، وفرّقوا لحومها على الفقراء.

❖ الأعجوبة الثالثة:

حدثت لـ "وسيلة" بنت شاكر جمعة الموصلية. وهي شابة في العقد الثاني من عمرها، أصيبت بشلل عام في أطرافها الأربعة، فحضرت إلى دير مار بهنام في ربيع ١٩٤٧ مستغيثة بقداسته، وقد رآها جميع ساكني الدير كيف كانت تُحمَل على كرسي وتُنقَل من مكان إلى آخر، وكيف كانت أمها تطعمها كأنما طفلة في الشهر العاشر من عمرها. كانت هذه الشابة تقضي ساعات في كنيسة الدير، تصلّي بخشوع ذارفة الدموع، وأخيراً وفي أحدى الليالي حضر الشهيد الأمير، وبشّرَ الفتاة بالشفاء. وفي صباح اليوم التالي، تمّ لها ما أرادت بأعجوبة فائقة، نالت من خلالها، وبشفاعة القديس، الشفاء التام.

وإقراراً بالجميل، وتعبيراً عن امتنانها لهذا القديس الجليل، عكفت تواصل العيش في ديره ردحاً من الزمن، تقدم ما في وسعها من الخدمات لساكنيه، وعلى الأخص للتلاميذ الذين كانوا يدرسون فيه ويجري إعدادهم للكهنوت، إذ كانت تقوم هذه الفتاة التقية بخياطة الملابس لهم طيلة سنوات عديدة، ولم تنقطع عن زيارة الدير وبخاصّة في عيده، وحتى عندما انتقلت إلى بغداد مع ذويها، لم تتوانَ أبداً عن الحضور والمشاركة في جميع مناسبات الدير الدينية، لوحدها أو مع ذويها، وحتّى كتابة هذه الأسطر.

❖ الأعجوبة الرابعة:

حدثت للمدعوّة "هدية يعقوب بطرس عرب" في عام ١٩٥٤، وهي في عامها الثاني والعشرين، إذ هي من مواليد ١٩٣٢، وقد سردت بنفسها حادث الأعجوبة بحضور رئيس الدير الخور أسقف فرنسيس جحولا، والسيد يعقوب أفرام منصور الذي قام بتدوينها، والأخت آمال الدومنيكية، وبعض نزلاء وزوّار الدير في ٤ نيسان ٢٠٠١، وقامت بسردها كالآتي:

مَرِضتُ فجأة في بغداد، واقترح عليّ والداي أن يأخذاني إلى الطبيب في بغداد، ولكوني آنذاك حامل، أحجمتُ عن مراجعة الطبيب. ولما خُيِّرتُ أن أفعلَ ما يحلو لي، أعربتُ عن الرغبة في الذهاب إلى قره قوش، مسقط رأسي، لأموت فيها. وفي طريقي إلى

قره قوش، شعرتُ ببرودة لازمتني، وعند وصولي إلى القرية، فضّلتُ المكوث في بيت حماتي، وهناك لم أعد أبصر شيئاً، وغبتُ عن حسّي. وأنا على تلك الحال، تراءى لي مار بهنام وقال لي:"تعالي عندي"، وفهمتُ من هذه الرؤيا أنه دعاني أن أذهب إلى ديره. وقال بعض الشهود الحاضرين آنذاك: بأني صرتُ أصرخ مطالبةً بإيصالي إلى الدير. وهناك وضعوني في الجب، وطوّقوا عنقي بـ "السلسلة"، وجلبوا لي فراشاً لأرقد عليه، ولبث والدي بجانبي.

وفي اليوم الأول من مكوثي لم يظهر لي شيء، وكذلك في اليومين الثاني والثالث، إلى منتصف ليل اليوم السابع، وأنا من دون طعام وشراب، حيث كانت الشموع موقَدة آنئذ، غبتُ عن حسي ثانيةً، ولما أفقتُ من الغيبوبة، لاحظتُ الشموع مطفأة، فسألتُ والدي:"مَن أطفأ الشموع؟"، أجاب:"لا أعرف"، فتعجب هو كما تعجبتُ أنا، وأنار الشموع ثانية.

وبينما أنا على تلك الحالة من فقدان الوعي، بدا لي الشهيد مار بهنام من فتحة النفق الكائن في مبنى الجبّ، وهو قابض على حبل في نهايته أفعى، فرماني بذاك الحبل على ظهري ضربة قوية، خرج على أثرها الجنين من جوفي، فشاهدتُ نزول النور المشعّ على الوليد الجديد ثلاث مرات، لأني في تلك الساعة كنتُ قد استعدتُ وعيي، وغدتْ حالتي طبيعية، وأبصرتُ المولود أمامي. فطلب والدي أن ألزم هدوئي ريثما يستدعي أحداً ليقطع سُرّة الوليد. وبعد الساعة الثانية من منتصف الليل، استطاع والدي أن يأتيني بامرأة عجوز لتقطع حبل السُرّة، ولما فعلتْ وجدتْ أن المولود بنتاً.

ثم قصدني الأب الخوري أفرام عبدال، رئيس الدير آنذاك، واستفسر عن حالتي، وما إنْ إطمأنّ إلى وضعي، حتى التمستُ أن ألثم يده وأطلب بركته، فلبّى طلبي ووضع كفّه على هامتي، وقلت له:"الحمد والشكر لله، أنا مليحة وبخير"، فرجع إلى الدير. وطلب تخصيص غرفة لي، واقترح تعميد الطفلة في دير مار بهنام وتسميتها باسم "سارة، سعاد"، لأنها نالت السعادة في هذا الدير. وقدّم والدي ذبيحة للدير إعراباً عن البهجة والسرور بهذا الحدث العجيب، وتكريماً لهذا الدير وقديسه مار بهنام العجائبي.

❖ الأعجوبة الخامسة:

حدثت لـ "جيهان"، قرينة سالم صبيح توما اللوزة، في ١٨ تنشرين الأول ١٩٩٢.
روى الحادثة زوجها المذكور قائلاً:

قرينتي جيهان نجيب هرمز، كانت مصابة بفتحة في قلبها. وبعد إجراء الفحوصات الضرورية، والإطّلاع على حالتها الصحية من قِبَل أطباء عديدين، قرروا إجراء القسطرة، فوجدوا الفتحة كبيرة. في أثناء زيارتي إلى دير مار بهنام، حلمتُ في تلك الليلة نفسها أني في كنيسة كبيرة، وقد أمسك بيدي شخص يجذبني إلى داخل الهيكل، والناس خارج السياج يحاولون الدخول إلى الكنيسة فلا يستطيعون. سألني الصوت:"ماذا تريد؟"، أجبتُه:"أريد شفاء قرينتي، لأن قلبها مريض، وأنا صاحب خمسة أطفال"، أجابني:"لا تخف! أنا بنفسي سأقوم بالعملية".

بعد شهر من هذا الحلم، راجعنا الدكتور أزهر كسّاب في بغداد، في حين كانت المستشفيات غاصّة بالمرضى، فأصرّ على إدخالها إلى المستشفى لإجراء العملية برغم الظروف الإستثنائية الصعبة. وتمّ فعلاً إدخالها إلى صالة العمليات في الساعة الثامنة من صباح يوم ١٨ تشرين الأول ١٩٩٢، لكن الطبيب وجد الفتحة كبيرة جداً إلى حد احتياجها إلى ترقيع. وعند شروعه في تخييط الفتحة، لاحظ أن الفتحة تلتئم تلقائياً بدون أي ترقيع أو مشكلة، حتى الطبيب نفسه اعترف بذلك. وكانت الدكتورة "جوان" شاهدة عيان.

تمت العملية خلال فترة وجيزة، وأُخرِجَت المريضة من صالة العمليات بأعجوبة. مع العلم بأني كنتُ قد أعددتُ ٣ قناني دم، و٣ قناني بلازما، لكن العملية لم تحتاج إلى أي قطرة من الدم والبلازما. لقد تَركَت العملية الجراحية أثراً نظيفاً للغاية كما لو أن العملية لم تجرَ إطلاقاً، فنُقِلت قرينتي إلى غرفة الإنعاش. ولّما قَدِمَ الطبيب لرؤيتها في اليوم التالي، قال لها:"قومي، لم يبقَ أي شيء بكِ. أول مرة أقوم بمثل هذه العملية، والفتحة بهذه السعة الكبيرة، وأفرغ من العملية بهذه السرعة وبهذه النظافة في الجرح!".

بعد أيام قليلة، غادرتْ قرينتي المستشفى وقد شُفيت وتعافت تماماً، والفضل في كل هذا يعود إلى شفاعة مار بهنام المستجابة ووقوفه إلى جانبنا في الحالات الصعبة.

أما السيدة جيهان التي شفاها مار بهنام، فقالت: بعد فترة وجيزة من سرد زوجي خبر الرؤيا التي حَظِيَ بها، تراءى لي في الحلم مار بهنام وبجانبه رجل مُسِنّ متَّشح بحلة بيضاء، وأنا معه، وقد تحسنت حالتي الصحية، أقدم مزهريةً كهدية.

بعد العملية وشفائي العجائبي، نويتُ الرجوع إلى الموصل، وأضمرتُ تقديم الهدية التي رأيتُها في الحلم في يوم عيد مار بهنام ١٠ كانون الأول. لكن ظرفاً طارئاً أعاقنا عن السفر إلى الموصل. وبعد زهاء شهر، ظهر الشفيع المشافي في الحلم ممتطياً جواده، وعلامات الإنزعاج نوعاً ما، واحمرار الوجه بادية على ملامحه، فأدركتُ أن سبب تلك العلامات هو نسياني تقديم تلك الهدية التي أضمرتُها له. وبعد النهوض من النوم، رويتْ لقريني تفاصيل الرؤيا، قائلة له:"نسينا تقديم الهدية إلى مار بهنام"، فأسرعنا إلى ابتياع مزهريات، واصطحبناها كهدية إلى العاملين في الدير، وشكرنا مار بهنام على تلك المعجزة الكبيرة.

❖ الأعجوبة السادسة:

حدثت لـ "نوبار اسحق كريكور" في خريف عام ١٩٩٨، إذ شُفي من علّة إنسداد قوي في الشرايين، وفي البُطَيْنَيْن الأيسر والأيمن .. وهذا موجز شهادته التي أدلى بها، لرئيس دير مار بهنام الشهيد، قائلاً:

إني من مواليد ١٩٣٥، في ١٠ آذار ١٩٩٨ راجعتُ الدكتور إبراهام، فأفادني بوجوب مراجعته في مستشفى ابن النفيس. حيث آجرى ما يلزم من فحوصات وتخطيط للقلب، فتبيّن له وجود انسداد قوي في الشرايين والبُطَيْنين، وزوّدني بخمسة أنواع من الأقراص، إستعملتُها ثم تركتُها. بعد فترة اعترى الهزال جسمي. وبعد فحوص بالأشعة وبالناظور، وعمليات زرع، ظهرت إصابتي بمرض السرطان. فاقترح ابني أن يعالجني. لكنني قلتُ له:"لا عليك يا بنيّ، فأنا وطيد الإيمان بالله".

كان وزني، نتيجة الهزال، قد هبط إلى ٤٠ كغم. راجعتُ المستشفى في شارع أبي نواس، وتزودّتُ منه بقنينة دم و٨ قناني من المغذّي، وأُدخلتُ إلى مستشفى التويثة، فقال الطبيب المعالج، وهو من أصدقاء طفولتي:"لماذا أتيتموني بهذه الجنازة؟. والدكم سيموت بعد ٣ أيام. خذوه إلى داره ليموت هناك". لكن، بباعث من إيماني الراسخ، واتّكالي على الرب، وثقتي بشفاعة القديسين وأولياء الله، قصدتُ، برفقة العائلة، أديار: السيدة، مار كوركيس، ومار بهنام الشهيد، وفي هذا الأخير أمضيتُ الليلة الأولى طريح الفراش، حتى تعذر عليّ حضور القداس في اليوم التالي، الذي هو يوم الأحد. فالتمستُ من رئيس الدير، متوسّلاً، أن يناولني القربان المقدس، فلبّى رجائي، وسرعان ما دبّ النشاط في جسمي، ولما حاولتُ السير إلى باب الدير، أصابني الدوّار، وسقط قدح الماء من يدي، ووقعتُ أرضاً، حتى أنهضني الأخ الرسام سامي لالو ليساعدني في الجلوس على الدكّة في ساحة الدير الخارجية، بعدئذ طرأ تحسّن تدريجي على صحتي.

في أعقاب ٨ أيام أمضيتُها في دير مار بهنام، رجعتُ إلى بيتي في بغداد برفقة أهلي، حيث راجعتُ طبيبي، أزهر كسّاب، الذي فحصني ثانيةً بالناظور والأشعة، وقال مستغرباً:"مَن قال إنكَ مصاب بجلطة في القلب؟"، أجبتُه:"دونكَ هذه التقارير من الدكتور شاهين في مستشفى ابن النفيس، فهي تُثبت إصابتي المذكورة، وهذه الحبوب، خمسة أدوية لمعالجة هذا المرض".

لقد دبّت الحياة في جسمي مجدَّداً، وأقبلتُ على الطعام بشهية، فنذرتُ أن أزور دير مار بهنام الشهيد ثانية لأوفي بنذوري له. وها أنا اليوم في الدير بعد عام كامل من تاريخ شفائي، بيدَ أن نزلاء الدير المقيمين لم يعرفوني للوهلة الأولى إلاّ بعد أن عرّفتهم بحقيقة مرضي قبل عام، مرضي الذي شفيتُ منه بمعجزة كبيرة، إجترحها مار بهنام الشهيد المعروف بصنع المعجزات.

❖ الأعجوبة السابعة:

حدثت لـ "باسم بطرس داؤد القس طوبيا" عام ١٩٩٠، وهو شخصياً يقوم بسردها وكما يأتي:

"الصحة تاج على رؤوس الأصحاء، لا يراه إلا المرضى"

في عام ١٩٩٠، كنتُ أمارس مهنة التجارة، وقد عقدتُ صفقة تجارية مع أحد التجّار في دولة الكويت، وكان مبلغ الصفقة كبيراً، وبسبب أحداث دخول العراق إلى الكويت، لم تتم الصفقة، وقد تكبدتُ خسارة فادحة جداً، وذهبَ المبلغ أدراج الرياح. وبسبب هذه الخسارة أصابتني صدمة نفسية قوية أدّت بي إلى فقدان الذاكرة المؤقت، كما أدّت مضاعفات الصدمة إلى إصابتي بمرض الصرع المزمن بسبب تلف عدد كبير من خلايا الدماغ. وقد أجريتُ جميع الفحوصات الطبية، من تخطيط الدماغ وأشعة المفراس...إلخ، فكان القرار، الذي استقر عليه الأطباء المعالجون، هو إصابتي بمرض الصرع المزمن.

وبما إني كنتُ أسكن مدينة بغداد آنذاك، كنتُ أقصد دائماً دير مار بهنام في الموصل، قبل إصابتي بسنوات عديدة، لغرض التعبد والتأمّل، وكنتُ أنام فيه لعدة أيام طالباً الإختلاء والتقرّب إلى الرب. وفعلتُ الشيء نفسه في دير مار متى. لذلك قررتُ المجيء إلى دير مار بهنام طالباً شفاعته لكي يشفي عبده، فنزلتُ ضيفاً وزائراً في الدير ومعي عائلتي، وقررتُ النوم في داخل كنيسة الدير.

منذ الليلة الأولى، وفي الساعة الثالثة تقريباً بعد منتصف الليل، وفيما أنا غارق في النوم، شعرتُ بيدٍ قوية تصفعني على خدي الأيسر، فاستيقظتُ مفجوعاً وعصبي المزاج من شدة الألم، وأيقظتُ زوجتي "أم ديفيد" من النوم وأنا أوبّخها بعصبية وألومها، ظاناً بأنها هي التي صفعتني. وبعد جدال عنيف بيننا قالت لي: بأنه توجد على خدكَ الأيسر آثار حمراء مرسومة على شكل أصابع يد كبيرة. وقارنتْ حجم تلك الأصابع مع أصابع يدها الصغيرة محاولة إقناعي بأنها لم تضربني، ولم أستطع النوم حتى الصباح. وبعد أيام سافرتُ إلى بغداد، وشعرتُ بأن حالتي الصحية تتحسن بشكل ملفت للنظر، فذهبتُ إلى الطبيب المعالج واسمه "عبد الكريم عبد المطلب"، وأجرى لي الفحوصات اللازمة من تخطيط وأشعة،

وقد ظهرت على وجهه علامات الإندهاش، وقرر إعادة الفحص مرة أخرى في المستشفى حيث شكّ في إمكانية عطل الأجهزة، ولكن النتيجة كانت مطابقة للأولى، فقال لي:"لابدّ وأنكَ قد شُفيتَ بأعجوبة". والشيء نفسه بالنسبة إلى الطبيب "سرمد الفهد"، الذي قال لي:"إن في حالتكَ شيئاً لا يمكن فهمه أو شرحه علمياً عند المقارنة بين نتائج الفحص قبل ذهابي إلى دير مار بهنام وبعد العودة منه". ولا أنسى أن أذكر بأنه، صباح اليوم الذي نلتُ فيه رحمة الرب وبركة مار بهنام، ذهبتُ إلى رئيس الدير الأب فرنسيس جحولا، وسردتُ له القصة كاملة، فقال لي:"إنّ مار بهنام هو الذي صفعكَ على خدكَ، لأنك آمنتَ، فنلتَ البركة".

ومنذ ذلكَ اليوم وأنا أسلّم أمري إلى مار بهنام الشهيد في كل مأزق أو مشكلة تواجهني، وفي النهاية يأتي الحلّ بما لا أتوقعه أو أفكر فيه، وتستقيم أمامي كل الطرق، "فإذا كان الله معنا، فمَنْ علينا".

وأنا الآن في عام ٢٠٠٤، ورغم أنّ رياح الظروف قد حَطّتْ بي في الولايات المتحدة الأميركية، إلا أني لمجرد زيارتي العراق، وجدتُ نفسي أشتاق من الأعماق إلى زيارة دير مار بهنام الذي علّمني بشفاعته ماذا تعني رحمة الرب وحنانه.

❖ الأعجوبة الثامنة:

حدثت لـ "برناديت ساكا وردينا" من منطقة عينكاوة ـ أربيل، من مواليد ١٩٥٧.

أصيبت برناديت بخفقان واضطرابات قلبية كبيرة لازمتها، وهي طريحة الفراش لثلاث سنوات، عانت من خلالها آلاماً شديدة، ولم تُجدِ نفعاً عقاقير الأطباء وأدويتهم شيئاً، بل زادتها سوءاً على سوء، فكان سلواها إيمانها وصبرها الكبيران، مع حبها الفائق للفادي المخلّص وأوليائه الصالحين. وبينما كانت على هذه الحال، سمعت بمحاسن القديس بهنام العجائبية، وما يجترحه هذا الشافي السماوي من معجزات كبيرة وعديدة، فالتمست من ذويها زيارة الدير.

قدِمَت الى الدير في أواسط شهر نيسان من عام ٢٠٠٢، وقضت نهارها في الصلاة، راكعة خاشعة أمام ضريح الشهيد، بقلب منسحق، وبإيمان عميق، ضارعة متوسلة، طالبة منه الشفاء، وغادرت بعد ذلك الدير وهي ممتلئة شجاعة على أمل أكيد ورجاء وطيد بنيل الشفاء القريب.

وبعد أن خيّم الظلام إستسلمت للنعاس، وبينما هي غارقة في نوم عميق، راودها الأحلام، وزارها مار بهنام في المنام بهيئة ملاك السلام، وزرع في نفسها الطمأنينة، وأكّد لها أن مرضها بسيط، وعلّتها ليست في قلبها بل في أذنها، وأنه هو بالذات سيُجري لها عملية جراحية يُخرج من خلالها جزء بسيط من أذنها، وسوف تُشفى. وبعد أن أجرى بنفسه العملية، وسحب هذا الجزء، المسبِّب لمرضها، من أذنها، تأكد لها بأنها شُفيت تماماً من علّتها.

أفاقت برناديت من حلمها اللذيذ هذا مذهولة مستبشرة، وأحسّت بتحسن كبير في صحتها، وأخذت تقوم بمزاولة أعمالها اليومية بكل جدّ ونشاط؛ وأراد ذووها التأكّد من شفائها، فعرضوها على عدد من الأطباء من الذين كانت تراجعهم، فأبلغوها بأن قلبها يعمل بصورة طبيعية، وذُهلوا من هذا الشفاء السريع، طالبين منها إبلاغهم عن اسم الطبيب الذي عالجها، فكانت تجيبهم:"إن طبيبي ليس من هذا العالم".

وفي الشهر الثالث من عام ٢٠٠٤، وبعد مرور سنتين على هذه الحادثة العجائبية، قَدِمَت الى الدير، ليس بقصد الشفاء هذه المرة، إنما لتقديم الشكر والثناء للشافي الكبير: مار بهنام!

هذا غيث من فيض من العجائب التي اجترحها مار بهنام، والتي لم تُذكر فهي أكثر.

✠ عهد بناء معبد الضريح المعروف بـ(الجب) ✠

تحملنا كل القرائن والإعتبارات على الظن إن معبد ضريح مار بهنام الشهيد المعروف بـ "الجب" هو أول ما أُنشئ بعد اهتداء سنحاريب إلى المسيحية، غير أنّ خلاف هذا قد جاء في سيرتَي مار متى ومار بهنام. فواضع السيرتَيْن يمثّل سنحاريب بمظهر مَن يتغاضى عن أمر ولديه، ويوجّه جلّ اهتمامه إلى ما هو لمار متى: من بناء هيكل فخم، وحفر صهاريج واسعة، وتعبيد طريق. ويروي الكاتب بأنّ هذه الأعمال قد استغرقت وقتاً طويلاً، وجشّمت أتعاباً مضنية، واستنزفت أموالاً طائلة. ثم بلغ عدد الرهبان الألوف، وتوفي مار متى، والأميران الشهيدان لا يزالان في الهاوية تحت التراب، ووالدهما سنحاريب متغافل عنهما، غير مفكر بأمرهما. وأخيراً لما عَنّ له أن يقيم لولديه معبداً، تعهدت به الملكة الوالدة، وقد عُمِل على شكل أقبية ضيقة صغيرة ولم يستغرق بناؤه إلا وقتاً قصيراً، فيستدل من هذا أنّ واضع السيرتَين قد بالغ في كل ماهو لديره، وهذا بعيد عن الحقيقة والصواب، لا يقبله كل ناقد خالٍ من غرض أو هوى في النفس.

فإذا كان سنحاريب قد تعهد أو تولّى عمارة هيكل لمار متى، فهذا لا يمنعه أن يهتم في الوقت نفسه بأمر ولديه، وهو القائل لمار متى، عندما أشار عليه بإقامة هيكل حيث مقتل الشهداء:"دع عنكَ أيها الأب الفاضل الاهتمام بهذا الأمر، فإنه يخصّنا، وما أنتَ فابذل عنايتكَ إلى ما هو لرهبانكَ". فإنه من الغريب، وبعيد عن الصواب، أن سنحاريب بقي متغافلاً عن ولديه إلى أَجَلٍ غير معيّن. وعند الافتراض أنّ سنحاريب كان خالياً من العاطفة الأبوية، فهذا ما لايمكن نسبته إلى الملكة الوالدة وهي المشهورة بشهامتها وسخائها وعاطفتها، فقد جاء عنها أنها أرغمت مار إبراهيم أن يأخذ مالاً وفيراً لإقامة دير له، وإنها ساعدت اسحق الفارسي في بناء الكنيسة، وهو لم يكن في حاجة إلى هذا الإسعاف. فليس من الصواب أن تدع ولدَيها الوحيدين وفلذة كبدها مُهمَلَين في الهاوية إلى أَجَلٍ غير معيّن، وقد حصدهما السيف وخطفتهما يد المنون من بين يديها، شابَّين يافعين، وتبقى هي طيلة تلك المدة هادئة ناعمة البال لا تعبأ.

وبناءً على هذا نرى أنّ تشييد معبد الضريح، أي "الجب"، كان أول ما أُنشئ بعد تنصّر سنحاريب، أو أنه أُقيم في وقت واحد مع كنيسة دير مار متى وليس بعده، وذلك في العقد الأخير من المئة الرابعة للميلاد.

لماذا .. وكيف سُمّي معبد الضريح بـ (الجب)؟

جاء في السيرة: إنه بينما كان الجنود يحاولين إضرام النار في أجساد القديسين، حدث اضطراب وزلزال انفتحت الأرض على أثرهما، وابتُلعَت أجساد الشهداء. وجاء في موضع آخر: إنه عندما رامت الملكة إقامة معبد للشهداء، نظر مار إبراهيم في فم الهاوية ثم نزل فيها مع رفيقيه وتبعتهم الملكة. وأخذ العمال في بناية الجب، ولما صار اسحق إلى باب البئر .. يُسْتَنْتَج من هذا وجود بئر أو جب قديم مهجور في تلك البقعة، انفتح على أثر زلزال، وأخفى أجساد القديسين. وهذا قابل الوجود، إذ إن التل وما يجاوره ما هو إلا أطلال آثارٍ مندرسة، والباحث المحقّق يجد في هذه الأصقاع قطع خزف مطليّة بألوان قاشانية، يرجع تاريخ بعضها إلى ما قبل التاريخ الميلادي بثلاثة آلاف إلى ستة آلاف سنة. وللعثور عليها يكفي محض النظر فقط. وعلاوة على ذلك، في عام ١٩٣٧، وعلى مسافة نحو نصف كيلو متر جنوبي الدير، عثر فعلة الأشغال العامة، عند قيامهم بأعمال فتح قنوات لوقاية الطريق المؤدي من الموصل إلى الكوير، على خوابي عديدة تحوي عظاماً بالية، مما يحملنا أن نقول إنها آثار مقبرة آشورية.

وروى المستشرق الفرنسي لابلاس، وكان قد زار الدير عام ١٨٥٢م: بأنّ دير مار بهنام شُيّد على أنقاض أثر ساساني[٥٤].

وعليه نقول: إنه لا يُسْتغْرَب وجود بئر أو جب مهجور في تلك البقعة، وقعت فيها أجساد الشهداء على أثر الزلزال المذكور. وقد حدث هذا طبيعياً أو بآية سماوية، لأن الله، عزّ شأنه، يسخّر غالباً الطبيعة لإتمام رغائبه السامية. وإذا افترضنا إمكانية وجود بئر أو جب هناك، جاز لنا أن نجزم بسبب تسمية معبد الضريح بـ "الجب".

(٥٤) Ninive et l'Assyrie, Victor Place, Paris, 1870, Tome second, P. 171.

داخل كنيسة الدير الأثرية

من تحليل الحوادث التاريخية، نفهم إن تنصّر سنحاريب كان بعد وفاة شابور الثاني (٣٧٩م)، وإلا لما تجرأ سنحاريب على اعتناق الديانة المسيحية جهاراً، والأخذ على الفور بتشييد كنائس وديورة.

ومن هنا نستدل أيضاً إن بناء الكنيسة والدير كان في عهد خلفاء هذا الطاغية، ولاسيّما شابور الثالث (٣٨٣-٣٨٨)، ثم بهرام الرابع (٣٨٨-٣٩٩)، ويزدجرد الأول (٣٩٩-٤٢٠). فهي الفترة الوحيدة في ذلك العصر، التي تمتع بها المسيحيون نسبياً بحرية الدين، وسُمِحَ لهم بتشييد كنائس وترميم المتهدِّمة منها، وبخاصّة في عهد يزدجرد الأول، حيث توطدت دعائم الصلح بينه وبين الإمبراطورين ارقاديوس وباسيليوس على يد مار ماروثا مطران ميافرقين، فبات الشرق في سلام وأمان، وفُتحت الطرق بين المملكتين فصار في استطاعة مسيحيي البلاد الفارسية زيارة الأراضي المقدسة[٥٥].

ولهذا نرى اسحق الفارسي شاخصاً إلى أورشليم بحشد كبير، مطمئنّ البال، غير وجل. وفي هذه المناسبة تسنّى له القيام بعمله المبرور، أي بناء هذه الكنيسة الخالدة وما أُلحق بها من المباني، ملجأً للمرضى، الأمر الذي يتعذر القيام به في غير هذه الفترة من الزمن، لأن الإضطهادات توالت بعدئذٍ على مسيحيي البلاد الفارسية من غير هوادة، كما يؤيد التاريخ، وقد دامت نحو قرنين. فيكون إذن عهد بناء هذه الكنيسة وما أُلحق بها من أبنية في سَلْخ القرن الرابع أو صدر الخامس للتاريخ الميلادي ولا يتعدّاه.

وبعد نقل رفات الأميرين الشهيدين إلى هذه الكنيسة، أُطلق عليها اسم "دير الجب"، ثم رُمِّمت وجُدِّد بعض أقسامها عام ١١٦٤[٥٦]، وهي كما تُشاهَد اليوم.

---

(٥٥) أدي شير، الجزء ٢، ص (٩٥-٩٩).

(٥٦) عن لوحة في جدار قدس الأقداس يمين المذبح.

✠ مقام هذه الكنيسة في الشرق ✠

تُعدّ هذه الكنيسة من أجمل كنائس الشرق الأثرية وأهمّها قاطبةً، لِمَا احتوته في داخلها وخارجها من النقوش والكتابات الكثيرة والزخارف والآثار الرائعة. قال بونيون، وقد زارها سنة ١٨٩٣:"إن هذه الكنيسة هي أجمل الكنائس الشرقية القديمة التي أُتيح لي مشاهدتها، فعضَادات الأبواب وأسكفتها وبعض جدرانها مزدانة بنقوش وزخارف وكتابات ناتئة، بحروف إسطرنجيلية رائعة، وإني لمعتقد أنْ ليس في الشرق أثر للقرن الثاني عشر أو الثالث عشر أجمل من هذا"(٥٧).

ولهذا كانت هذه الكنيسة، ولم تزل حتى اليوم، موضع إعجاب الباحثين الآثاريين من العلماء الذين يقصدونها من البلاد الشاسعة، ليطّلعوا على ما فيها من الآثار. وقد زارها المرحوم الملك فيصل الأول عام ١٩٢٣، والملك غازي عام ١٩٣٠، والأمير زيد والوزراء، والأعيان والقادة ...إلخ. وقد حذا الصنّاع في بنيانها وزخرفها حذو الأجداد في تشييد قصور نينوى الشامخة وصروحها الباذخة. إنها لصورة مصغَّرة جامعة لتلك العظمة الموروثة. فقد نُقشت أرتجتها العديدة وبعض قبابها وجدرانها بنقوش بديعة وزخارف مستملحة وكتابات إسطرنجيلية وعربية رائعة منمنمة وإيغورية وأرمنية قديمة. فالدقة المبذولة فيها، على الرغم من كثرتها وتنوعها والتفنن في تراكيب رخاماتها المتداخلة الأوصال، بشكل فريد، نادر، يُكسب هذه الكنيسة مكانةً ممتازة، ويجعلها في طليعة كنائس المشرق الأثرية قاطبةً، بل ليس بينها ما يضاهيها عظمةً وبهاءً وفناً وأهمية.

وكتب عنها السيد أمجد العمري مُقرظاً، قال:"لي الشرف بأنني زرتُ دير مار بهنام وقبره الذي في الجب، فوجدتُه، فضلاً عن ميزته الدينية، آية في الهندسة والتاريخ. وقد أدهشتني النقوش والفسيفساء والكتابات المنقوشة والمسطورة في جميع أركان الكنيسة ورخاماتها البديعة الصنع، ولاسيّما تراكيب الرخام المتواصلة، التي تعجز عن الإتيان بمثلها،

---

(٥٧) Inscription Semetique H. Pognon. P.134.

الأمم الراقية في هذا العصر. وقد حنيتُ رأسي أمام همّة أجدادنا الشرقيين الذين ما زالت آثار مدنيّتهم باهرة الى يومنا هذا".

"قضت الدهور وما استحال شبابها فكأنها لا تعرف التغييرا"[٥٨]

وكتب أيضاً السيد قسطنطين بنّي، صاحب مجلة منرفا (بيروت):"إن في الوقوف أمام هذه الآثار الخالدة عِبرة ومَوعظة للأبناء في التضحيات الدينية، التي قام بها أجدادهم، دفاعاً عن الدين. فليجاهد الأبناء اليوم دفاعاً عن الوطن، لأن محبة الوطن من الإيمان. فسلام على الآباء الخالدين والأبناء المجاهدين"[٥٩].

✠ أثر مار بهنام التاريخي في المجتمع الشرقي ✠

ذاعت أنباء الكرامات الفائقة والخوارق العجيبة التي أجراها الله تعالى على يد صفيّه مار بهنام. فطبقت، منذ القرون الأولى التي عقبت استشهاده، الأمصار الشرقية برمّتها، وانتشرت انتشاراً منقطع النظير أولاً في بلاد فارس كما ورد في سيرته "واستفاض خبر الأشفية التي جرت على أيديهم في بلاد العجم بأسرها"[٦٠]. ثم نقل خبرها التكريتيون، رهباناً وتجّاراً، إلى سوريا ومصر، ولاسيّما بعد أن تحررت الحدود المانعة على أثر الفتوحات العربية.

فكان لهذا الانتشار العجيب أثره العظيم، في الأمصار الشرقية برمّتها، وبين كل طبقات الناس، في هذه الديار. وقد بالغوا جميعاً في تكريم هذا القديس وتعظيم شأنه ورفع قدره. ولهذا التكريم أدلّة شتّى منها:

١. إدراج اسم مار بهنام في سفر سير القديسين.

٢. وفرة التقاريظ والمدائح التي تغنّوا بها لإظهار محاسنه.

---

(٥٨) مجلة النور، ٢ تشرين الثاني ١٩١٩.

(٥٩) مجلة ...، ١٤ نيسان ١٩٦٢.

(٦٠) أخبار الشهداء والقديسين، بيجان ٢: ٤٣٢.

٣. كثرة مَن يحملون إسمه الكريم تيمّناً.

٤. كثرة ما له في طول الشرق وعرضه من معاهد للعبادة: من أديار وكنائس ومذابح أو مزارات، شيّدها السلف على اسمه، شهادة ناطقة على ما كانوا يحفظون له من حبٍّ وإجلال.

✠ إدراج اسم مار بهنام في سفر القديسين ✠

لقد أُدرج اسم الأمير الشهيد بهنام في سفر الحياة بين جمهرة القديسين، في كالندار الكنائس الشرقية السريانية والأرمنية والقبطية، منذ القرون العريقة في القِدَم. وكانت هذه الطوائف تحتفل بعيده، في اليوم العاشر من كانون الأول، وهو يوم استشهاده. وفي الكلندار القبطي، يأتي ذكره في ١٤ (كيهك) الموافق للعاشر من الشهر المذكور[٦١].

في المكتبة الفاتيكانية مخطوط، نَسَخه سبرتا بن عزيز النبكي، في بلدة صدد السورية[٦٢]، في كنيسة والدة الله مريم، سنة ١٥٦٤م، يروي فيه: إن عدد قديسي السريان العظام هم ١٤ قديساً، ويجعل مار بهنام، الثاني رتبة بينهم[٦٣]. حوت هذه المكتبة مخطوطاً آخر، يوردُ فيه ناسِخُه ذكر ٥١ قديساً من أعظم أولياء الله، في العهدين القديم والجديد، ويُحصي هذا الكاتب مار بهنام وأخته سارة في زمرتهم[٦٤]. وبين محتويات هذه المكتبة، مخطوط موسوم بـ "سفر الحياة" أي "ديبتيختا"، فيه ذكر مار بهنام وأخته سارة ورفاقهما الأربعين، كان يُنادى به في جملة آباء الكنيسة والمجامع، رُتّب بحسب ترتيب بيعة العذراء في حلب، بأمر البطريرك شمعون سنة ١٦٤٨[٦٥].

(٦١) اطلب فهرس مكتبة برلين، رقم ٢٢٣، صفحة (٧٠١-٧٠٤)، ورقم ٢٤٨، صفحة ٧٦١. المكتبة الفاتيكانية، الجزء ٢، رقم ٢٧، عدد ١٨، صفحة ٢٥٠؛ ورقم ٣٩: عدد ٢٩، صفحة ٢٧٧، ورقم ٩٨، عدد ١٢، صفحة ٣٩٧؛ ورقم ٦٩: صفحة ٤٠٣. من المجلد الثالث. رقم ٢٤٧، العددان (٢١و٢٤)، صفحة ٥٣٣. معجم التاريخ والجغرافية الكنسي، الجزء ٧، صفحة ٤٧٧.

(٦٢) صدد: بلدة صغيرة قديمة جنوبي شرقي حمص على طريق دمشق. مرحلة (مسيرة) يوم عنها. آهلة بعدّة آلاف من السريان.

(٦٣) فهرس المكتبة الفاتيكانية. المجلد الثاني، رقم ٦٧. صفحة ٣٧٣.

(٦٤) المكتبة الفاتيكانية، المجلد الثالث، رقم ١٥٥. صفحة ٢٩٤.

(٦٥) المكتبة الفاتيكانية، المجلد الثاني، رقم ٣٩/١٦، صفحة ٢٧٧.

وظلّ عيد مار بهنام مُحتفَلاً به، في الطائفة السريانية جمعاء، إلى أن حوّله إلى تذكار السيد يوسف قدسي، مطران أورشليم القائم بتدبير شؤون السريان المنضمّين إلى الكنيسة الكاثوليكية يومئذٍ باسم الكرسي الرسولي، إجابة إلى طلب الحلبيين المتكثلكين الذين كانوا يصلّون يومئذٍ خارجاً عن كنيسة السريان، وقد سألوه أن يساويهم مع طائفة الروم في الأعياد والأصوام. ففسح لهم برسالة، كتبها في دير "الأمّ الحزينة" بزوق مصبح[٦٦]، وتاريخها ٢٥ نيسان سنة ١٧٧٦، مآلها الإقتصار على البطالة من الشغل، يومين فقط، لكل من عيدَي الميلاد والغطاس، بدلاً من ثلاثة أيام، وتحويل أعياد مار بهنام ومار أفرام ومار يليان ومار موسى الحبشي إلى تذكارات، مع أنها كانت أعياد بَطَالة، وفسح لهم أيضاً بأكل السمك أيام الصوم الكبير وصوم العذارى، الذي يقال له صوم نينوى[٦٧].

✠ التقاريظ والمدائح ✠

الصلوات الفرضية:

ما برحت الكنائس الشرقية، السريانية والقبطية والأرمنية، حتى يومنا هذا، ولاسيّما الكنيسة السريانية، تعظّم القديس بهنام وتتغنّى في مدحه. وقد تسابق أئمّتها في إنشاء صلوات طقسية، أطنبوا فيها في أوصافه، وهم يتلونها كل سنة يوم عيده في ١٠ كانون الاول. وبين محتويات المكتبة الفاتيكانية، مخطوط يشتمل على الصلوات القانونية التي تُتلى في الآحاد السابقة لعيد الميلاد، منذ أحد تجديد البيعة، طبقاً للطقس الماروني. وقد ضمّ الناسخ إليها صلاة لعيد مار بهنام الشهيد في ١٠ كانون الأول. أما ناسخ هذا المخطوط، فقد دوّن اسمه في السريانية، واليك تعريبه:"انتهى على يد الخاطئ عطا الله زندة القسيس الماروني"[٦٨].

---

(٦٦) دير أنشأه المطران غريغوريوس شكر الله حروق (+ ١٧٧٣)، مركزاً للكرسي الأورشليمي سنة ١٧٦٣ [illegible] مصبح [illegible] لبنان" باعه خلفه السيد يوسف قدسي المذكور، بعدما أهمله (طالع أصدق ما كان، المجلد الثاني، ص (٢٦٦-٢٦١).

(٦٧) حماية الرحمن، صفحة (١٩٦-١٩٧).

(٦٨) مكتبة الفاتيكانية، المجلد الثالث، صفحة ٥٣٥. وأصدق ما كان، المجلد الأول، صفحة (٨٦-١٨٧).

ولأبي نصر البرطلي من آل حبو كني، ١٢٩٠، حسّاية "صلاة استغفارية" في حـ
مار بهنام بإنشاء فصيح منسجم، وعبارات جزلة أنيقة[٦٩].

وفي مكتبة دير مار بهنام الحالية، مخطوط يتألف من ٣٠٠ صفحة، يتضمن مجـ و
ما كُتِبَ عن هذا القديس من الصلوات والتقاريظ والمدائح، وإلى القارئ بعض فقرات مـ
هذه المصنّفات:

❖ في شهر كانون، حيث تملك الشمس، والنهار ينهب الليل، أشرق لنا المسيـ
الشمس في بيت لحم، وأرسل نجمه إلى فارس القاهرة، فجذب المجوس ملوكها، وأتـ
بهم إلى السجود لربوبيته، وهو أيضاً بذاته بعث برحمته إلى آثور، في الشهر المبارك عينه
وأتاه بشابّه مار بهنام المختار. أخرجه صياد البشر بحجّة الصيد، وأعدّ أمامه طعمـ
تلائمه، هي حيوان بهي المنظر، فتسبب بصيد الفتى، وليّ عهد المملكة العلوية. مبـارك
المسيح الذي انتخبه من البطن، وجعله إناءً لكرامته، فالتسبيح لِمَن إصطفاه.

❖ إنك يارب، يا مَن أرسلتَ إبنكَ الوحيد ليفدي جنس البشر، وينشلهم من وهد
الهلاك الأبدي. لما رأيتَ فئة بني آثور ميراثك، متوغلة في حفرة الطُغيان وعبادة الأوثان
العجماء، أشفقتَ عليها، فحركتَ النجل العجيب الفاضل بهنام بن سنحاريب الملك
وأخرجتَه إلى القنص والصيد مع جماعته الأربعين جندياً. فألقيتَ لقط التعليم أمـامهم
واقتنصتهم بشبكة عنايتك. وذلك إنكَ أوصيت بالرؤيا إلى الناسك الفاضل متى، الذي
كان عابداً في سفح جبل الفاف، فاهتدى بهنام مع رفاقه إلى معرفة الحق بمشورة هـذا
الشيخ الموقر وإرشاده، وتمسّكوا بالمذهب المستقيم. فيا لها من أعجوبـة لا توصـف
كيف إن الذئاب الخاطفة قد أضحت للوقت خرافاً وديعة. وكيف إن البزاة الكاسـرة
قد أمست كالحمام.

---

(٦٩) ترهب في دير مار متى. ويظنّ إنه ترأس عليه عام ١٢٦٠. وألف بإنشاء فصيح منهل وكلام حرّ، أربعاً وتسعين حسّاية، من أروعها: حسّاية مار بهنام. (راجع تاريخ الزمان لابن العبري، صفحة ٥١٧، اللؤلؤ المنثور، صفحة ٤٣٣).

❖ مَنْ يا ترى كفؤ أن يصف مدائحكَ أيها الشهيد الباسل مار بهنام الشريف المحاسن. إنّ خبرك يغلب الواصفين، وقصتك تُبهر السامعين. ربك وحده يستطيع توفية وصف خبرك العظيم العجيب. مباركٌ الذي أكثر مناقبك، وكرّمَ وعظّم ذكرك.

❖ مَنْ يا ترى يسعه إحصاء محاسنك، أيها الشهيد مار بهنام، لأنها تفوق الوصف، وتتجاوز طور العقل والفهم. فَلْيَجُدْ عليَّ الروح القدس، الذي زانك وكلّلكَ وبجّلكَ بأوصاف تليق بصورتك البهية الشهية. مباركة القوة الغالبة التي كلّلت وعظّمت نصرتك. طوباك يا مار بهنام الشهيد، الصنديد المجيد، والمجاهد النشيط، لأنك زهدت في المملكة الزائلة.

❖ أيها الجميل، بأيةَ ألوان أصوّر صورتكَ. لأني مفتقر جد الافتقار إلى الأوصاف اللائقة بتزويقك. كيف أضفر إكليلاً يجدر ببسالتك؟ ومن أين لي المواد الخليقة بإكليل رأسك؟.

❖ أيها السامعون، أصغوا بآذانكم، وانصتوا بعقولكم، لنبأ مار بهنام البهي، فهو بتول مختار، وقديس وفتى شهي وجميل، بل شاب نقي طاهر، ومجاهد ومكافح باسل صنديد. ملك الملوك ورب التيجان هوى هذا الشاب، رأى حُسنه فتاق إليه، إستنشقَ عبيره فتلذّذ به، ذاق حلاوته فسرّ به، تبصّر في استقامته فرغب فيه، إبتهج تجاه تواضعه وطرب بشجاعته.

❖ إن الروح القدس عقد لك تاجاً مثلما تستحق، وبه مزدانة هامتك النقية زينة سنيّة. بمَ أدعوك، يا وليَّ عهد المملكة، وبمَ أسمّيك، فإنك تحولت من مملكة إلى مملكة أخرى. لقد نزعتَ عن عنقكَ طوق الذهب والزبارج، وزيّنته بطوق الدم القرمزي.

لقد تضوّع شذا قتلك، يا مار بهنام الشهيد، في المسكونة بأسرها، نظير أريج الطيوب الفاخرة، فتاقت الشعوب البعيدة والقريبة إلى تحيتك، لينالوا منك البركات والمعونات.

❖ إنّ ذكرك، يا مار بهنام، لهو أعذب من العطور، ويشرق إكليلك متلألئاً أبهى من الحجارة الكريمة. مبارك الّذي اصطفاك، وارتضى بكَ، وجعلك ميناءً للمتضايقين كافّة، وبرجاً حصيناً وسوراً عالياً لميراثه. فاشفع، أيها الشهيد المبارك مار بهنام، لدى الذي وضعك في بيعته ينبوعاً للمعونات، في الجماهير التي احتفت بتذكارك، واطلب للمرضى شفاءً، وللضعفاء قوةً ومعونة، وللخطأة مغفرة، وللموتى راحةً وهناء.

❖ مار بهنام حجرٌ كريم، جميل، غالي الثمن، يتلألأ في تاج البيعة المقدسة. مار بهنام أرزة سامية، نُصبَت في فردوس الله. مار بهنام تفاحة بهيّة المنظر، لذيذة الطعم، وذكية الرائحة، تزهو الآن في الجنة السماوية. مار بهنام درّة يتيمة، وأخته القديسة سارة جوهرة صافية، نُظّما في قلادة الأمة الآرامية. مار بهنام زمردة بارعة الجمال، تضيء في إكليل العروس السماوي.

إن مار بهنام وأخته سارة مصباحان مفعمان نوراً. وقد ارتكزا فوقاً، في فلك الأيمان الحقيقي. فمار بهنام هو زبرجدة وأخته حجر كريم، صعدا من بحر الخداع، ونُظّما في قلادة الكنيسة. فلذلك نتقدم إليهما بالمدائح الرفيعة السامية وننشدهما قائلين:

♣ هنيئاً لكما أيها القديسان بهنام وسارة أخته الجليلان، لأنكما قد حُزْتما إكليل الغَلَبة كلاكما، وأُحصيتما في مصاف الشهداء المختارين. طوبى لكما لأنكما خطبتما أنفسكما للملك السماوي. أنتما السَروتان العظيمتان المنصوبتان في جنّة عدن. أنتما الدرّتان الكريمتان المرصوعتان في تاج البيعة المقدسة. طوبى لكِ أيتها الطاهرة القديسة سارة، الجفنة النضيرة بأثمار الفضائل وأزهار الأعمال الصالحة. طوبى لكَ أيها القديس

المصطفى هنام الطاهر، الذي لا عيب فيه. يا مَن يرفل في جنة الأنوار بفرح وابتهاج لا يزول. هنيئاً لكِ أيتها الفتاة الوديعة سارة، لأنكِ بصفاء قلبكِ أبهجت الملائكة، وفرّحتِ المؤمنين، وحزتِ إكليل الشرف. هنيئاً لكَ يا هنام، النسر الخفيف الطيران، يا مَن ارتقى بأجنحة سريعة إلى العلى، وجعل محلّ سكناه في مدينة القديسين.

♣ مَن يستطيع أن يصف الآيات التي جرت في شأنكَ، يا أيها الشهيد مار هنام النبيل. إن ملائكة النور قد وفدت إلى سلامكَ، وأبا النسّاك والزهاد، متى الشيخ، قد منحكَ صبغة العماد. والأرض اليابسة قد أنبعت ماءً لصبغتكَ. ثم إنها انفلقت وأخفت جسمكَ. ووالداك مالا عن مذهبهما الوثني بسبب قتلكَ، وأُحصيا في قطيع المسيح ربّك. آثور تجدَّدت بموتكَ. والسموات سُرَّت بقتلكَ وتكليلكَ. والأرض ابتهجت في يوم انتصاركَ.

♣ ونحن العبيد الذين نقضي، في هذا اليوم، تذكار انتصارك، يسوغ لنا أن نقول مع صاحب المزامير: هذا هو اليوم الذي صنعه الرب، تعالوا نُسَرْ ونفرحْ به. نعم اليوم يفرح الملائكة الذين وافوا لسلامكَ. ويبتهج أهل الأمراض والأسقام الذين حازوا الشفاء على يدكَ. ويهتش في يوم تذكارك القانتون والقانتات، الذين زهدوا في الدنيا، وحبسوا أنفسهم في ديرك. اليوم تمتدحك الأفواه، وتُغبطك الألسن قاطبة. وتوافيك الشعوب كافة بالنذور والهدايا. فتقبَّل أيها الشهيد الجليل هذه الهدايا. وقدِّمْها الى مولاك الإلهي الذي عظَّم شأنك. ليرحمنا ويسبغ علينا نِعَمَه الروحية والجسدية، ويوفّقنا أن نسبّحه نحن وأمواتنا تسبيحاً غير فاتر.

♣ والآن، نستعين يا رب، بشفاعة محبيك المختارين هنام وأخته سارة. ونتوسل إليكَ بجاههما، لتغفر خطايانا، وتُصفح عن زلاتنا، وتُبعد عنّا كل ما يضر النفس

والجسد، وتؤازرنا بعونك لنقهر الشيطان ونغلب خدائعه، إقتداءً بشهدائك المختارين الذين نُعيّد اليوم عيدهم، فنسبّحك بصحبتهم في نعيمك[٧٠].

ومَن يتصفّح الكتب الخطيّة القديمة المحفوظة في أمهات خزائن كتب أوربا، يعثر على أبيات عديدة مبعثرة، تتضمن إستغاثات بهذا القديس، كانت تُتلى في نهاية القداس الإلهي، أو في أثناء تلاوة الصلوات الفرضية القانونية[٧١].

✠ انتشار سيرة مار بهنام ✠

لما كانت سمعة مار بهنام قد ذاعت في البلاد الشرقية قاطبة، بات لتاريخ سيرته شأن عظيم. فتداولتها أيدي الكتّاب والأدباء شرقاً وغرباً، وتلذّذ بذكره المؤمنون منذ أعرق العصور. من ذلك، سيرته التي نسخها قسطنطين بن يعقوب في انطاكية، بين عام ١١١٢ و١١٩٢، وهي محفوظة في مكتبة باريس الأهلية[٧٢].

وفي مكتبة لندن، خمس نسخ لسيرة أميرنا الشهيد:

- الأولى: خطّها، عام ١١٩٧م، الراهب يوسف من رهبان أبي غالب في دير برصوما بحمص.
- الثانية: خَطّها الراهب زكّى في دير والدة الله ببرية الصعيد[٧٣] سنة ١١٩٩م.
- الثالثة: خُطّتْ في دير والدة الله بجبل الرها[٧٤] في القرن الثاني عشر أو الثالث عشر.

---

[٧٠] طالع "فنقيث الصلوات الفرضية طبقاً لطقس السرياني". الجزء ١. طبعة الموصل، صفحة (٤١٣-٤٣٢). كتاب "الحسّايات" القسم الثاني، صفحة (٣٥٢-٣٩٧). مخطوطة في دير مار بهنام، تنطوي على قسم مهم من هذه المقتطفات.

[٧١] اطلب "فهرس المكتبة الفاتيكانية"، المجلد الأول، رقم ١٧/٢٦، صفحة ٢٢١؛ ورقم ٦٨، صفحة ٣٩٧؛ والمجلد الثاني، رقم ٢/٢٥، صفحة ٢١٣، ورقم ٢٦، صفحة ٢١٦. مكتبة باريس، رقم ٣/١٠٩، صفحة ٦٧، ورقم ٥/٢٠٩، صفحة ١٦١.

[٧٢] فهرست مكتبة باريس، رقم ٣/٢٣٤، صفحة ١٨٢.

[٧٣] دير السريان باسم "دير والدة الله" في برية الصعيد بمصر. يُظَنّ إنه بُنِيَ في القرن الخامس. ابتاعه ماروثا التاجر التكريتي في أواسط المئة السادسة، من الأقباط، وأوقفه على الرهبان السريان، وكان يحوي منهم سبعين راهباً عام ١٠٨٤؛ وظلّ آهلاً بهم إلى منتصف المئة السابعة عشرة. يسكنه في هذا الوقت رهبان أقباط.

– الرابعة والخامسة: نُسختا في القرنين المذكورين أيضاً[٧٥].

وقد صانت لنا المكتبة الفاتيكانية ومكتبة برلين نسختين من أعمال هذا الشهيد، عوّل عليهما الأب بولس بيجان اللعازري، لّما نشر في باريس، عام ١٨٩١، سيرة شهيدنا المعظّم[٧٦].

وفي غيرها من المكاتب، نُسَخ قديمة مخطوطة لهذه السيرة، منها نسختان قديمتان في مكتبة دير مار بهنام الحالية، وثلاث نسخ في المكتبة السريانية الكلدانية لدير السيدة حافظة الزروع بجوار القوش[٧٧]، ونسخة في مكتبة كمبردج[٧٨]، ونسخة مخطوطة في مكتبة دير الشرفة[٧٩]، ونسخة في مكتبة البطريركية السريانية الأنطاكية في بيروت[٨٠]، ونسخة في مكتبة بكركي كرسي بطريركية السريان الموارنة في لبنان[٨١]. وهناك نسخ عديدة في مكتبة كنيسة الطاهرة بقره قوش وسواها، وفي بعض البيوتات.

✠ القصائد والأرجوزات في مديح مار بهنام ✠

مما يدلّ على شهرة مار بهنام الواسعة في الأمصار الشرقية، وجليل قدره، وعِظَم شأنه، وفرة القصائد والأرجوزات التي خلّفها السلف، في مديح هذا القديس في القرون التي عقبت استشهاده. فقد تنافس الكتّاب والأدباء والشعراء في وصف أمجاد مار بهنام، ونظّموا القصائد الرنّانة في إجلاله وتقريظ استشهاده، وكالوا له الأوصاف المجيدة، ونعتوه بألقاب جليلة، فدعوه: القديس الشهير، الكوكب اللامع المنير. وأسموه: عظيم الشهداء،

---

(٧٤) دير "والدة الله" أو دير "المتوحدين الغرباء" في جبل الرها. ذكره الراهب الزوقنيني المؤرخ في حدود سنة ٧٥١. وكان عامراً في المئة الثالثة عشرة (اللؤلؤ المنثور، صفحة ٥١٥).

(٧٥) فهرس مكتبة لندن، صفحة (١١٣٥ و١١٤١ و١١٤٦ و١١٤٨).

(٧٦) أخبار الشهداء والقديسين، بيجان ٢، صفحة (١٠ و٣٩٧-٤٤١). الآثار الشرقية، المجلد ٢: ٣٩.

(٧٧) فهرس المكتبة الكلدانية للأب فوستي، رقم (٢١٢ و٢١٤ و٢١٧).

(٧٨) مكتبة كمبردج، رقم ٢٨٨١.

(٧٩) مكتبة بكركي، رقم ١٥، صفحة ٢٥١.

(٨٠) الطرفة في مخطوطات دير الشرفة للخوري اسحق أرملة، عدد ١١/١٧، صفحة ٢١٩.

(٨١) فهرس المخطوطات السريانية الخطية، نمرة ١٦٠.

القديس السنيّ الطاهر، تاج الشهداء، طبيب المرضى، طارد الشياطين، قاهر الأبالسة .. إلى غير ذلك من النعوت الرائعة[٨٢].

لأبي نصر البرطلّي من آل حبوكني، ١٢٩٠، السالف ذكره، أرجوزة من الوزن السباعي، ضمّنها سيرة مار متى الناسك، وأفاض في مدحه ومدح قديسنا، تقع في ٣٣ صفحة[٨٣].

وهناك أيضاً قصيدتان عامرتان تقعان في ستين صفحة، نظّمها البطريرك بهنام الحدلي[٨٤] (+١٤٥٤)، في مديح مار بهنام، منهما نسخة في مكتبة دير مار متى، ونسخة ناقصة في برمنكهام، ونسختان في مكتبة قره قوش. كُتِبَت إحداهما سنة ١٥٨٨، والثانية سنة ١٧٢٥، ونسخة في مكتبة غبطة البطريرك أفرام برصوم، ونسخة في مكتبة دير مار بهنام الحالية[٨٥].

وللبطريرك سركيس الرزي الماروني (١٥٨١-١٥٩٧) زجليّة في مار بهنام، نظّمها عام ١٥٧٩، يوم كان حبيساً في دير مار بيشوي، بجانب دير قزحيا "لبنان"، مؤلّفة من مائة وواحد وتسعين بيتاً[٨٦]، منها نسخة في مكتبة دير مار بهنام الحالية.

وفي أبرشية الموصل، زجليّات أخرى في مديح هذا القديس، عثرنا على بعضها، أشهرها هي التي نظّمها المرحوم القس يوسف مروكي البعشيقي ومطلعها "تعالوا نمدح"،

---

[٨٢] اطلب فهارس مكتبة باريس، رقم ١٣/٧٤، صفحة ٤٤، ورقم ٣/١٠٦: صفحة ٦٤، ورقم ٣/٢٣٤: صفحة ١٨٢. مكتبة لندن، عدد ٩٣١، صفحة ١٠٨٠، وعدد ٩٦٠/٧٠، صفحة ١١٣٥، وعدد ٣/٩٦٤، صفحة ١١٤٦. مكتبة برلين، عدد ١٥٤، صفحة ٤٨٠، وعدد ١٨٤، صفحة ٥٩٥، وعدد ٢٥٩، صفحة ٩٧٠. السمعاني: عدد ٣٦، صفحة ٢٢٣. الفاتيكانية: المجلد الثاني: عدد ٢/٢٥، صفحة (٢١٣ و٢١٦). الآثار الشرقية للبطريرك رحماني، صفحة (٣٩٣-٤٤٠).

[٨٣] مكتبة برلين، رقم ١٧٨، صفحة (٥٧٥-٥٧٦).

[٨٤] هو بهنام بن يوحنا من آل حبوكني، البرطلّي الأصل، الحدلي المولد. ترهب في دير قرتمين بطور عبدين. رُسم قسّاً، وأكبّ على الدرس حتى غدا كاتباً ماهراً وشارحاً بارعاً وخطيباً مصقعاً. رُسمَ مفرياناً سنة ١٤٠٤؛ وخلف البطريرك بن غريب في كرسي ماردين سنة ١٤١٢. بعد وفاة البطريرك باسيليوس الخامس: نودي به بطريركاً انطاكياً سنة ١٤٤٥، وحلّت وفاته عام ١٤٥٤ (اللؤلؤ المنثور: ٤٤٦. أسماء الرمان، ٤٣-٤٤. ذخيرة الأذهان. ٢: ١٣٢-١٣٣).

[٨٥] فهرس مكتبة برمنكهام: عدد ٤٠٢. اللؤلؤ المنثور، ٤٤٦.

[٨٦] فهرس مكتبة بكركي، رقم ١٥. وأصدق ما كان ٢: ١٩١و٢٠٦.

وتقع في خمسة وسبعين بيتاً، وقد طُبعت في كتاب حياة الأميرين[٨٧]، وطُبعت أيضاً في ملحقات هذا الكتاب.

كل هذه أدلّة صريحة ناطقة على ما كان يتمتّع به مار بهنام من الشهرة الواسعة، وسموّ المقام، وعلوّ الشأن، عِبْرَ الأجيال الذاهبة السحيقة، في الديار الشرقية.

✠ اتّخاذ اسم مار بهنام، تيمّناً به، منذ القِدَم ✠

في الوقت الذي تبارت فيه قرائح الأدباء والشعراء في نظم الأناشيد بمديح مار بهنام ووصف مناقبه، صار الناس يتّخذون اسمه الكريم تيمّناً به، وإقراراً بجميله وإحسانه وشفاعته، وذلك منذ القرون الأولى لاستشهاده.

لا يتأتّى لنا الإلمام بكل الأعلام المشاهير والكتّاب النحارير الذين حملوا اسم مار بهنام المجيد في القرون الأولى لاستشهاده، إنما نجتزئ، في هذا المقام، بذكر مَن عثرنا عليهم، في أثناء بحثنا وتنقيبنا، في المراجع النادرة التي سلمت لنا من غابر الزمان:

١ . أول مَن عثرنا عليه مِمَّن تسمّوا باسم مار بهنام الكريم، هو بهنام، جد والد الطبيب الشهير أبي الخير الحسن بن سوار بن بابا بن بهنام المعروف بابن الخمّار، الذي رأى النور في بغداد عام ٩٤٢م. فيكون بهنام هذا من مواليد منسلخ المئة الثامنة أو صدر التاسعة[٨٨].

٢ . بهنام، تلميذ يوحنا مطران باعربايا[٨٩]، عام ١١٩٤. كان راهباً في دير مار سركيس ومار زعورا[٩٠]، في جبل العطشان. وهو ناسخ مخطوط باريس المشتمل على سيرة ٢٧ قديساً[٩١].

---

[٨٧] حياة الأميرين، صفحة (٥٦-٦٢).

[٨٨] طبقات الأطباء لابن أبي أصيبعة ١: ٣٢٢.

[٨٩] باعربايا: اقليم صغير كان بين نصيبين والموصل.

[٩٠] ويدعى أيضاً "دير المعلّق"، على قمة الجبل القاحل فوق مدينة بلد بثلاثة فراسخ، وهو بينها وبين سنجار غربي الموصل. يُظنّ أن بناءه تمّ في المئة الخامسة، وصار كرسياً أسقفياً سنة (١١٦٧-١٣٤٥)، ثم انطمس خبره وعفا أثره (اللؤلؤ المنثور صفحة ٥١٥).

[٩١] مكتبة باريس، رقم ٢٣٦: صفحة (١٨٧-١٨٨).

٣. الربّان بهنام، المعروف بأبي الحسن ابن القس يوسف ابن أبي الفرج السجستاني (١٢٢٢- ١٢٥٤)[٩٢]. وقد نسخ كتاباً، في دير الأنبا يوحنا الصغير في برية الصعيد بأرض مصر، ويحتوي على رسائل مار بولس بالسريانية، ورد فيه ما يلي: "انتهى هذا الكتاب في حزيران ١٢٥٤، في دير الأنبا يوحنا الصغير أبي المتوحدين، في برية الصعيد بأرض مصر. كتبه بهنام السجستاني[٩٣]".

٤. القس بهنام، الذي رقّاه المفريان اغناطيوس صليبا إلى الدرجة الكهنوتية، على بيعة مار تئودورس في بحديدات بلبنان سنة ١٢٥٦[٩٤].

٥. أثناسيوس بهنام، المعروف بابن سومانة. أسقف بانوهدرا عام ١٢٧٩، والمدفون في دير الشيخ متى[٩٥].

٦. الثري "بهنام الفارسي" في همذان. وقد أولم وليمة كبرى لأباقاخان بن هولاكو سنة ١٢٨٢م[٩٦].

٧. الشماس بهنام حبوكني، الطبيب والأديب البرطلي، عام ١٢٩٢م[٩٧].

٨. القس بهنام المانعمي، حوالي عام ١٣٥٠[٩٨].

٩. في سنة ١٤٠٤، نجد مفرياناً بهذا الاسم ثم ارتقى إلى السدّة البطريركية عام ١٤١٢، وهو: بهنام بن يوحنا من آل حبوكني، البرطلّي الأصل، الحدلي المولد[٩٩]، وكان أمهر أهل زمانه في الكتابة وأشعرهم. توفي عام ١٤٥٤م[١٠٠].

١٠. وخلفه مفريان آخر بهذا الاسم وهو: ديوسقورس بهنام شتي الأربوي[١٠١]، (١٤١٥-١٤١٧). قبره في مدفن آباء هذا الدير.

---

(٩٢) سجستان: ولاية واسعة جنوبي هرات في أفغانستان الحالية.

(٩٣) مخطوط لندن: رقم ١٤٧، صفحة ٩٤.

(٩٤) عصر السريان الذهبي صفحة ٥٢. وأصدق ما كان ١:٢٢٤.

(٩٥) ذخيرة الأذهان ٢:٦٣.

(٩٦) تاريخ الدول السرياني، صفحة ٥٤٧.

(٩٧) خزانة فلورنسا، عدد ٢٠٨.

(٩٨) اللؤلؤ المنثور، ٤٨٩.

(٩٩) حدل: قرية بطور عبدين غربي آزخ.

(١٠٠) أبناء الزمان، صفحة ٤٣. ذخيرة الأذهان ٢:١٣٢-١٣٣.

١١. الخطّاط الراهب القس بهنام، ابن القس سابا المذياتي[١٠٢]، (١٤٦٥-١٤٧٣م).

١٢. بهنام زنبور السبيريني (١٤٦٥-١٥١٢).

١٣. ديوسقورس بهنام الأول، رئيس دير الزعفران (١٥٠٨- ١٥٢٨)، ويعرف بابن برصوم المنصوري[١٠٣]. توفي بعيد ١٥٤١م[١٠٤].

١٤. بهنام بن شمعون، مطران كرسي مار يعقوب أخي الرب. له مخطوط كتبه في دير مار ابحاي بدير السنبل سنة ١٦٠٦[١٠٥].

١٥. غريغوريوس بهنام بن حبيب، الأربوي الأصل، القصوري المترل. مطران أورشليم (١٥٦٧-١٦١٤)[١٠٦].

١٦. باسيليوس بهنام الثالث بن حبيب الباني، مفريان المشرق (١٦٤٥-١٦٥٥)، وقد نال قسطاً وافراً من الأدب السرياني وحسن الخط[١٠٧].

١٧. المطران ديونيسيوس بهنام روحيجان، رئيس أساقفة حلب السرياني الكاثوليكي، ١٦٦٢[١٠٨].

١٨. البطريرك بهنام الثاني، الذي رُسِمَ بطريركاً سنة ١٨١٩، ثم أغتيل في دير شمشم.

١٩. الأسقف قورلس بهنام أخطل (١٧٩٠-١٨٢٨)، مطران دير مار بهنام وقره قوش[١٠٩]. هو أول مطران للسريان الكاثوليك على أبرشية الموصل.

---

[١٠١] نسبة إلى اربو: قرية بطور عبدين. أسماء الزمان (٤٣-٤٤). ذخيرة الأذهان ٢:١٣٣-١٣٤.

[١٠٢] نسبة إلى مذيات، وهي قصبة طور عبدين الحافل بأديار كثيرة، والمكتظ بنيف وخمسين قرية، ثلثا أهلها سريان. وقد هاجر معظمهم إلى الجزيرة العليا (هذه المعلومات منذ الخمسينيات).

[١٠٣] نسبة إلى منصورية: قرية بجوار ماردين.

[١٠٤] نزهة الأذهان. صفحة ٨٣

[١٠٥] مكتبة لندن، رقم ١٠٠٢. صفحة ١١٨٢.

[١٠٦] السريان في القطر المصري، صفحة ٥٣.

[١٠٧] اللؤلؤ المنثور ٤٩٥.

[١٠٨] السلاسل التاريخية (٢٠٠-٢٠٢).

[١٠٩] السلاسل التاريخية (١٣٢-١٣٨).

٢٠. المفريان باسيليوس بهنام الثالث، بن فتوتة الموصلي (١٨٣٩-١٨٥٩)، وهو آخر المفارنة وخاتمتهم[١١٠] .. البطريرك بهنام بني (١٨٩٣-١٨٩٧)، سليل أسرة حسيبة معروفة من الموصل .. ديونيسيوس بهنام عبدالله سمرجي .. أثناسيوس بهنام قليان، رئيس دير مار بهنام (١٩٠٩-١٩٢٢)، ومطران بغداد (١٩٢٩-١٩٤٩) .. وهناك غيرهم كثيرون تسمّوا بهذا الاسم المجيد في الأقطار المختلفة من الديار الشرقية منذ أجيال قديمة.

وفي الموصل وضواحيها عوائل كثيرة تتيمّن بهذا الاسم الجميل، وقد تعدّى العراق إلى الخارج مثل: بيروت والشام وحلب ومصر وإلى ما وراء البحار في أميركا. وللسريان في راشيا[١١١] جماعة قديمة العهد، خاضعة في سياستها الكنسية لمطرانية دمشق، جاء عنها: إنه في القرن الخامس عشر إنضمّت إليها أُسر شتى نزحت عن "عين حليا" بقضاء الزبداني، كان من أشهرها يومئذ "آل بهنا"[١١٢].

وفي حلب اليوم أسرة أخرى بهذا الاسم وهي قديمة، ومن فروعها أشخاص في الإسكندرية وفي باريس.

ما هذا، لعمري، إلا دليل واضح، على اتّساع شهرة مار بهنام، في البلدان الشرقية الفسيحة.

✠ الكنائس التي شيّدت على اسم مار بهنام ✠

في الوقت الذي تبارت قرائح ذوي الألباب في نظم الأناشيد بمديح مار بهنام، وصار الناس يتّخذون اسمه الكريم تيمّناً به، تسابقت البلدان الشرقية الواسعة في تشييد الكنائس على اسمه، أخصّها:

---

(١١٠) أنباء الزمان (٥٦-٥٧).

(١١١) راشيا: بلدة واقعة عند جبل الشيخ؛ يقطنها فريق من السريان وفريق من الدروز.

(١١٢) أصدق ما كان ١: ٣٦٥.

١. كنيسة طرابلس

شُيّدت هذه الكنيسة على اسم مار بهنام عام ٩٦١م، كما أثبت ابن العبري في تاريخه[١١٣]. فاتخذها رعاة الأبرشية مركزاً لهم، وفيها دُفن المفريان اغناطيوس صليبا الثالث سنة ١٢٥٨م[١١٤]، وإليها كان يختلف ابن العبري مع زميله المفريان صليبا المذكور يوم كانا يحصّلان المعارف في مدينة طرابلس، ثم تقوّضت أركانها في حرب وقعت سنة ١٢٨٩م، فعفت آثارها[١١٥]. والظاهر إنه أُنشئ في هذه المدينة، في الأحقاب التالية، كنيسة أخرى على اسم السيدة العذراء ومار بهنام، وكانت قائمة حتى سنة ١٧٨٥م.

وفي مكتبة باريس، مخطوط بالعربي موسوم بعنوان "وصية التكليل المبارك برسم الكنيسة المحروسة مار بهنام"، كتبه الشماس كوركيس بن يوسف من مدينة "آمد" في جزيرة قبرص، للكاهنين ميخائيل وفرج سنة ١٦٥٥ يونانية، ١٣٤٤م[١١٦]، إلا أنه لا يذكر أية كنيسة لمار بهنام، ويقرب على الظن إنها كنيسة طرابلس. وقد جاء ما يؤكد وجود هذه الكنيسة في رسالة القس عطا الله يازجي الآمدي، كاهن رعية هذه المدينة، إلى البطريرك ميخائيل جَروة (١٧٨٢-١٨٠٠) ما يأتي، ننقله على علاّته بالحرف الواحد:"إن البيعة تشتمل على هيكلين، بينهما حائط، فالواحد على اسم السيدة، والآخر على اسم ماري بهنام، ولكن مكانات صغار وعتق وخالين من الأواني".

٢. كنيسة القاهرة في مصر القديمة

ولمار بهنام كنيسة في مصر القديمة قرب مقبرة اللاتين، عند فم خليج أمير المؤمنين، يُظَنّ إنها قديمة العهد. شادها التكريتيون[١١٧] منذ القرون الأولى من استشهاد هذا

---

[١١٣] تاريخ الدول السرياني، صفحة ١٨٤.

[١١٤] أنباء الزمان، صفحة (٣٩-٤٠).

[١١٥] أصدق ما كان ١:٢٥٧.

[١١٦] فهرس مخطوطات مكتبة باريس، رقم ١٠٦، عدد ٣، صفحة ٤ (رسالة القس عطا الله إلى البطريرك جروة في ١٨ آب ١٧٨٥) (من مخطوطات دير الشرفة).

[١١٧] توافد التكريتيون إلى الديار المصرية، تجاراً ورهباناً، منذ صدر القرن السادس للميلاد، وبلغ عددهم نحو عشرة آلاف نسمة في القرن السابع أو الثامن. وكان لهم ديورة عديدة وكنائس، عدّ منها الخوري اسحق أرملة ١٧ كنيسة وديراً (السريان في القطر المصري، ٣٠-٤١. مخطوط المتحف البريطاني المنسوخ سنة ٦٠٣م، عدد ٦٧٢. مخطوط باريس، عدد ٧٢، صفحة ١١).

القديس الكبير[١١٨]. وُرِدَ ذكرها في مخطوط مكتبة برلين، كان أُهدي إليها سنة ١٧٣٤، جاء فيه:"نَظَرَ في هذا الكتاب الراهب هندي بن اسحق الموصلي، خادم دير مار بهنام المكون، في محروسة مصر القاهرة سنة ١٧٩٦م"[١١٩]، وظلّت هذه الكنيسة في حوزة السريان حتى أخذها الأقباط وبدّلوا اسمها الأصلي باسم "مينا"، واستبدّوا بها استبدادهم بسائر الكنائس والأديار التي كانت تخصّ السريان في وادي النيل[١٢٠]. وفي هذه الكنيسة، حتى اليوم، صورة كبيرة رائعة تمثّل أدوار حياة مار بهنام بريشة حنا كربيد الأرمني القدسي سنة ١٧٨٢ م، نُشِرَت عام ١٩٤٦م[١٢١].

٣. كنيسة اربيل

في سنة ١٢٦٢م غزا المغول بلاد آشور، فغادر جمهور عظيم من السريان بلدة الموصل ونينوى ولجأوا إلى أربيل، حيث شَيّدَ لهم الجاثليق دنحا النسطوري كنيسة على اسم مار بهنام، ألحق بها داراً للأسقف وديراً للرهبان ولزوّار مار بهنام[١٢٢]، دُمّرت هذه الكنيسة عام ١٣٧٥م، وانطمست أخبارها، وعفت أثارها[١٢٣].

٤. كنيسة ماردين

في ماردين كنيسة قديمة العهد على اسم مار بهنام وأخته سارة والأربعين شهيداً، نُهبت عام ١٣٣٣م، فنذها الراهب يشوع بن خيرون، سنة ١٣٣٥م، بمرثاة بليغة[١٢٤]، ثم ورد ذكرها في مجموعة الحان للمطران شمعون العيندوري، ١٤٦٨م[١٢٥]. وفي بيثكاز يخص مكتبة السريان بديار بكر، جاء فيه: إنه كُتِبَ سنة ١٥٥٥، في ١٠ كانون الثاني

---

(١١٨) السريان في القطر المصري، صفحة ٣٣. السلاسل التاريخية، صفحة ٣٨١.

(١١٩) مكتبة برلين، عدد ٢٥٩. صفحة ٧٩٠.

(١٢٠) السريان في القطر المصري، صفحة (٣٣-٣٤).

(١٢١) طالع The Icons of Yuhanna and Ibrahim the Scribe. Martin Telles Langdon, London. P. 21, 58-599.

(١٢٢) المكتبة الشرقية لسمعاني ٢. عدد ٣٩: ٤٥٣-٤٥٥. ذخيرة الأذهان. ٢: ٦٠.

(١٢٣) أنباء الزمان، صفحة ٤٣. ذخيرة الأذهان، ٢: ١١٩.

(١٢٤) فهرس مكتبة باريس الأهلية، عدد ٢٧٦.

(١٢٥) اللؤلؤ المنثور، صفحة ٨٥.

بماردين، في بيعة الأربعين شهيداً على عهد عبد الله البطريرك[126]، ولا تزال هذه الكنيسة قائمة حتى اليوم، وتُعرَف بكنيسة الأربعين شهيداً.

٥. كنيسة دمشق

هي الكنيسة الكبرى، على اسم العذراء المجيدة مريم ومار بهنام، وكانت قائمة في عام ١٦٥٤م[127]، ثم ورد ذكرها باسم مار بهنام فقط في مخطوط مكتبة باريس، المنسوخ سنة ١٩٩٢يونانية، سنة ١٠٩٢ هجرية، ١٦٨١ميلادية، بيد الخوري موسى بن الكن، خادم كنيسة مار بهنام في دمشق، على عهد البطريرك عبد المسيح[128].

وجاء عن جبرائيل حوا مطران قبرص الماروني، أنه رقّى إلى درجة الكهنوت، في كنيسة مدرسة بروبغندا، القس جبرائيل طيشون الدمشقي على كنيسة مار بهنام بدمشق سنة ١٧٢٣م[129].

وفي ٢٥ حزيران ١٧٨٥م، سمّى البطريرك اغناطيوس ميخائيل الثالث السيد ايونيس نعمة الله ثابت مطراناً على الشام وراشيا وحصبيا، ودفع إليه منشوراً بطريركياً. فيه يسمّي جماعات الشام "مرعيث مار بهنام"[130].

وفي مخطوط ببرلين، كُتِبَ فيه بالكرشونية ما يأتي:

"إن البطريرك كوركيس الرابع، حضر دمشق سنة ٢١٣٥ يونانية. ١٨٢٤م. وانتخب المطران عبد المسيح الآمدي والربّان اسحق والربّان عبد الواحد والربّان بشارة ابن ارميا من بيت ترزي، كاتب هذه الأسطر، ليرسلهم إلى الهند لإدارة الطائفة هناك. وقد ربطوا كلامهم مع بعضهم بعض بدمشق الشام أمام القديس الشهير مار بهنام"[131].

---

(126) دحيرة الأذهان ٢: ٢١٨.

(127) هامش كتاب عناية الرحمان، صفحة ٢٧٧.

(128) فهرس مكتبة باريس، رقم ٢٢٨، صفحة ١٧٠.

(129) عناية الرحمان، صفحة ١٧١.

(130) المشرق ١٠: ٣٣٨–٣٦٧.

(131) مخطوط مكتبة برلين، رقم ٢٥٩، صفحة (١٩٠–٢٩١).

وكانت هذه الكنيسة موسومة باسم مار بهنام وموسى الحبشي سنة ١٨٢٨[١٣٢] وظلّت كذلك حتى أسماها مثلّث الرحمة المطران يوسف داود باسم "مار بولس".

وفي هذه الكنيسة (صينية) قديمة كُتبَ فيها ما نصّه:"أُوقفت هذه الصينية المبارك من القسيس بطرس بن المخملي الحلبي على كنيسة السيدة ومار بهنام في مدينة دمشق المعروفة بالسريان على روحه وروح والدَيْه، فكل مَن غيّرها عن الوقفيّة، تكون حصّته مع صالبي المسيح. في سنة ١٧٢٠ مسيحية".

وما برحت صورة مار بهنام، في هذه الكنيسة، في صدر مذبح خاص به، على يمين الداخل إلى الكنيسة.

والصورة مرسومة بريشة نعمة ناصر حمصي، طولها ١,٢٥متر، وعرضها ١ متر، وهي تمثّل مار بهنام ممتطياً جواداً أحمر اللون، قائماً أمام رابية، وبيده رمح يعلوه صليب، وعلى رأسه تاج مرصّع بجواهر كريمة. وعند رأسه ملاكان، قابضان باليد الواحدة على سعفة نخل، وممسكان باليد الأخرى إكليلاً من ورد يعقدانه على هامّته، وقد كُتِبَ بجانب الإكليل "القديس بهنام الشهيد".

أما القديسة سارة، فواقفة من ورائه مرتدية حلّة صفراء، وعليها شبه عباءة حمراء موشّاة بذهب، ومتحزّمة بزنّار أخضر، وبيدها سعفة نخل، وقد كُتِبَ بجانبها "الشهيدة سارة". ثم على جانبي الأكمّة، الشرقي والغربي، يقف إلى الوراء عشرون فارساً، ويعلو الصورة رسم للسيد المسيح فوق غمامة، تحفّ به هالة، وقد فتح ذراعيه لاستقبالهم.

٦. كنيسة مار بهنام في جزيرة ابن عمر

في جزيرة ابن عمر كنيسة على اسم مار بهنام، كانت بيد السريان الكاثوليك عام ١٧٩٤م[١٣٣]، ثم تولاّها السريان الأرثوذكس. وقد وُجِدَ على جدارها تاريخ يذكر أن مار بهنام استُشهِدَ في سنة ٣٨٢م.

---

(١٣٢) عناية الرحمان، صفحة ٤٨٣.

(١٣٣) عناية الرحمان، صفحة ٣٦٣.

٧. بيعة مار بهنام في تنورين

تنورين، بلدة في لبنان الشمالي. كان يقطنها عدد كبير من الأُسَر السريانية، قبل القرن الرابع عشر وبعده. ومن البِيَع التي شادوها فيها، بيعة مار بهنام الشهيد[١٣٤].

٨. بيعة العذراء والشهيدين سرجيس وبهنام في كفر حورا

كفر حورا، قرية قديمة في شمالي لبنان، بقضاء زغرتا. ضمّت، في سالف الأزمنة، عدداً غير يسير من السريان، وابتنوا فيها بيعة على اسم العذراء المجيدة والشهيدين سرجيس وبهنام[١٣٥].

٩. بيعة مار بهنام بجوار اللاذقية

كان في ضواحي مدينة اللاذقية، على ساحل البحر المتوسط، كنيسة قديمة العهد، شُيِّدَت تيمّناً باسم مار بهنام، وظلّت عامرة حتى أوائل القرن التاسع عشر. ويُستفاد من مخطوطات دير الشرفة إنه وُجِدَ في هذه الكنيسة، قبل اندثارها، صورة قديمة لمار بهنام، وكتابة إسطرنجيلية نُقِرَت على الحنية الشرقية وراء المذبح[١٣٦].

١٠. كنيسة مار بهنام في بلاد الحبشة

جاء في معجم التاريخ والجغرافية الكنسي للكردينال بودريار: إنّ الكاهن يوحنا الأنبا، رئيس دير بيزان في الحبشة، سمّى كنيسة بلاده باسم مار بهنام[١٣٧].

---

(١٣٤) أصدق ما كان، ١: ٢٤٥.

(١٣٥) مخطوطات بيعة حلب السريانية، تحرير أنطون ركاز، أصدق ما كان ١: ٢٥٤.

(١٣٦) رسالة للخوري ميخائيل أزرق (+ ١٨٧٦)، من مخطوطات دير الشرفة. أصدق ما كان ١: ٢٦٩.

(١٣٧) معجم التاريخ والجغرافية، المجلد السابع، صفحة ٢٧٧.

١١. كنيسة مار بهنام في حلب

ينقل الخلف عن السلف، أنه كان في حلب، كنيسة أو معبد على اسم مار بهنام، عفت آثارها، واستولى عليها الفاتحون.

ولمار بهنام اليوم، في حلب، صورة قديمة تمثّله راكباً حصاناً، في كنيسة الأرمن الأرثوذكس، يزيد طولها على المتر.

١٢. هيكل مار بهنام في كنيسة بنابيل

بنابيل، هي قرية عامرة، في الشمال الشرقي من ماردين، على مسافة ساعتين ونصف منها، آهلة بالسريان، وفيها بساتين وحدائق غنّاء، ومياه غزيرة. فيها لمار بهنام هيكل منقور في الصخرة[١٣٨].

١٣. هيكل على اسم مار بهنام بالقدس

على اسم مار بهنام، في كنيسة دير مار مرقس للسريان الأرثوذكس في القدس، هيكل خصوصي يُقدِّم عليه الذبيحة الإلهية الكهنة المتزوجون.

١٤. مذبح مار بهنام في معبد سيدة النورية في بيروت

لمار بهنام في بيروت مذبح، في صدره صورة لهذا القديس بمعبد سيدة النورية للروم الأرثوذكس. وتظهر على هذه الصورة علائم القِدَم، وهي تمثّل مار بهنام على صهوة جواد، وبيده رمح يطعن به إبليس اللعين، وقد تَجَنْدَلَ عند حوافر حصانه، ويعلوه من الجانب الواحد ملاك يروم أن يكلّله بتاج الظَفَر، وفي الجانب الآخر، وعلى ارتفاع قليل، صورة السيد المسيح يتهيّأ لاستقباله.

---

(١٣٨) نزهة الأذهان، صفحة ٦٩.

✠ الديورة التي شيِّدت على اسم مار بهنام ✠

❖ دير على اسم مار بهنام في جوار كويسنجق

لمار بهنام ديرٌ ثانٍ عظيم، لا تزال أطلاله قائمة في جوار كويسنجق في محافظة أربيل. بينها وبين أرموته مسافة نصف ساعة، وهو إلى أرموته أقرب منه الى كويسنجق. وأهل كويسنجق وأرموته يُقيمون، لهذا القديس، عيداً حافلاً كل عام[١٣٩].

ولعلّه الدير الذي شاده الجاثليق دنحا سنة ١٢٦٢م، للسريان الذين نزحوا من الموصل ونينوى وأطرافها واستوطنوا أربيل، عندما غزا المغول بلاد آشور وعاثوا بها سبياً وقتلاً[١٤٠].

وكَتَبَ عنه مطران كركوك على الكلدان، مار اسطيفان جبري، بتاريخ ٢٥ حزيران ١٩٤٦ ما يأتي، ننقله بالحرف:

"إنّ ما يعرفه أهالي كويسنجق وأرموته عن هذا الدير، إنه كنيسة قديمة على اسم القديس مار بينا، وقد تم زيارة هذا الدير، فشوهد على هيئة كنيسة متقوّضة، يُذكر على رأس بنياها أن بانيها واحد من آل اوغنا.

وحسب التقليد إن ارموته كانت واسعة جداً، وإن كثيرين من عائلاتها نزحوا عنها واستوطنوا قرى أخرى مثل كرمليس ولا سيّما عينكاوة. وفي هذه القرية اليوم عدة عائلات باقية الآن، منها عائلة الخوري شعيا اوغنا.

ويُبان أنّ الذي أتينا على ذكره أعلاه، في بناية دير القديس مار بينا، هو من هذه العائلة".

---

(١٣٩) شهداء المشرق ١: ٣٠٥.

(١٤٠) السمعاني: المجلد الأول، عدد ٢٩، صفحة ٤٥٥.

❖ دير آخر على اسم مار بهنام في مدينة لقخا في خورسان

جاء في رحلة برصوما الى الشرق[١٤١]: إن الجاثليق دنحا[١٤٢]، حبس شمعون بـ قاليج المسمّى أسقف الطوس[١٤٣] في خورسان، وكان قد رسمه مطراناً على الصين سنة ١٢٧٩م. فكبر شأن قاليج على الجاثاليق وتجرّأ عليه. فاستدعاه الجاثليق الى استو[١٤٤] وحبسه في دير مار بهنام الكائن في مدينة لقخا[١٤٥].

❖ دير مار بهنام فوق دير الزعفران

لمار بهنام، فوق دير الزعفران، دير أو صومعة تُكنى بـ "دير الكهف"، وهو صومعة يوسي أو بطروس، نسبة إلى بطرس الحبيس الذي كان ساكناً فيه سنة ١٥٢٣م وهو عبارة عن كهف مجاور لدير مار يعقوب، كان آهلاً بنفر من النسّاك، في القرنين السادس عشر والسابع عشر.

ومن رهبانه: عبد العظيم ابن الشماس يوسف الكليبيني (١٦٠١-١٦١٢م). وبهنام البابي الذي سُمّي مفرياناً (١٦٥٣-١٦٥٥ م)، وكان قد أجاد الآداب السريانية وخطّها، وكان معه في المحبسة، الربّان جورجيس ١٦٤٥م، ومن رهبان هذا الدير أيضاً، الراهب القس يشوع، ١٦٦٦م[١٤٦].

أما تاريخ تشييد هذه الديورة والكنائس، بالدقّة، فمجهول، لضياع المراجع التاريخية لِمَا انتاب هذه البلاد من النوائب والمِحن. وقد ذكرناها مستندين على مصادر أُدرِجَت عما قبله، مؤمّلين من المؤرّخين والمحقّقين الأعلام متابعة ما ابتدأنا به، وتمحيص ما قُدِّم حتى الآن، ليُزيده جلاءً وتدقيقاً وإثباتاً.

---

(١٤١) كان الربّان برصوما مبعوثاً لسلاطين المغول إلى ملوك أوربا، فرار عواصمها، وأقام مدة في روما.

(١٤٢) هو مرقس المغولي، وقد ارتُسم بطريركاً لكنيسة النساطرة في الشرق باسم "يابالاها الثالث".

(١٤٣) تدعى اليوم "مشهد" في خورسان.

(١٤٤) بلدة كردية مشهورة في تجارة المواشي والخيل.

(١٤٥) رحلة الربّان برصوما، المترجمة عن السريانية إلى الإنكليزية، صفحة ٦٠، سنة ١٩٢٨، بقلم Sir E. A.-Wallis Budge

(١٤٦) اطلب "اللؤلؤ المنثور"، صفحة ٤٩٥. نزهة الأذهان، صفحة ١٥٨. فهرس مكتبة برلين، رقم ١٨٤، صفحة (٥٩٩-٦٠٠)، ورقم ٢٣٤، صفحة ٧٤٠.

خلاصة ما قدّمناه: إنه كان للأمير الشهيد العظيم مار بهنام، في الأقطار الشرقية جمعاء، مركزٍ رفيع ومقامٍ سامٍ، نظراً إلى الكرامات التي أجراها الله على يد وليّه، إلا أن الدهر قد قضى على عزّ هذه الشهرة لِمَا انتاب هذه البلاد من الويلات والنكبات. ولم يبقَ لها إلا أثر ضئيل، لكنها استأنفت انتشارها وانتعشت سُمعتها منذ غرّة القرن العشرين، لدى افتتاح وتجديد ديره على يد مثلّث الرحمات البطريرك اغناطيوس أفرام الثاني رحماني سنة ١٩٠١ م.

ومنذئذٍ أخذ الناس من كل صوب، على اختلاف المذاهب، يقصدون هذا الدير، في نذورٍ وتقادم، لطلب نعمة أو زوال نقمة.

نفعنا الله بشفاعة هذا القديس وصلواته

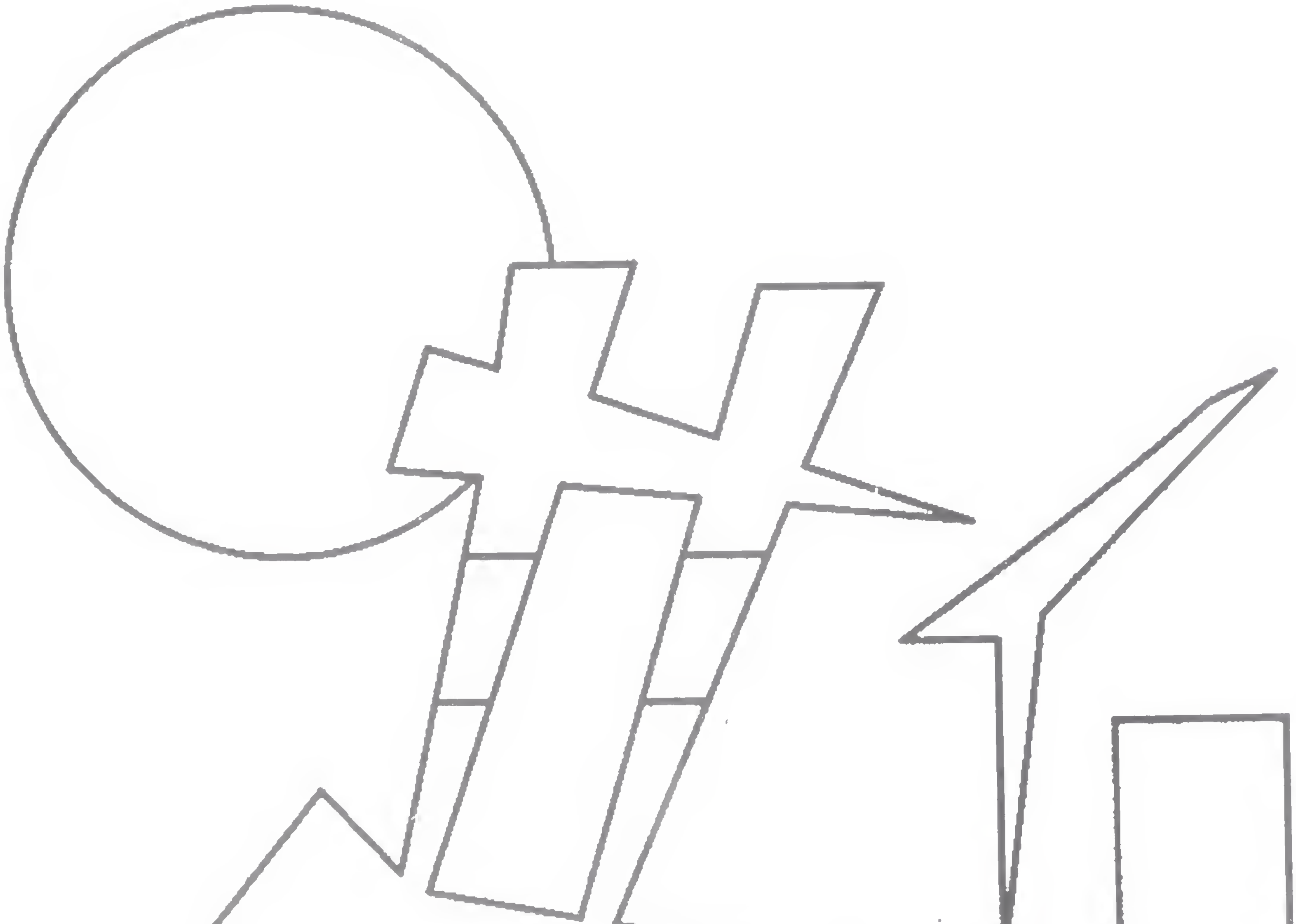

لوحة زيتية لراهبة فرنسيسكانية من مرسلات قلب مريم
تزيّن أعلى الباب الملوكي في كنيسة الدير

✠ سيرة حياة الأميرين البطلين الشقيقين بهنام وسارة الشهيدين ✠

يوليانوس يضطهد الديانة المسيحية

لما توفي الملك قسطنس، ٣٦١م، بن قسطنطين الكبير، خلفه ابن عمه يوليانوس (٣٦١-٣٦٣م)، فاستبدّ هذا بالمُلْكِ شرقاً وغرباً. وكان يوليانوس قد اعتنق المسيحية، إلا أنه بعد العشرين من عمره ارتدّ عن الديانة المسيحية، وكفر بها، وعزم على أن يدكّ معالمها، وأن يُحيي عبادة الأوثان، لذلك سُمّي المرتدّ أو الجاحد. وما إن جلس على كرسي المملكة، حتى عمَّمَ في آفاق مملكته رسائل تأمر الناس بالإنقياد له، وتَرْك الدين المسيحي والسجود للآلهة، وكل مَن لا يطيب نفساً في الإذعان لأمره ويجحد المسيح، سِيمَ الذلّ والهوان، وحُكم عليه بالجلد، أو حُزّ رأسه بالسيف.

ولما بلغت هذه الأوامر آمد، التي هي "ديار بكر"، وقرأها القضاة على رؤوس الملأ، دَبَّ الرعب في قلوب الناس، فَجحدَ قومٌ المسيح خوفاً من الموت أو طمعاً في المراتب، و صبر غيرهم على الأذى وشربوا كؤوس العذاب، وتحمّلوا الذلّ والهوان بنفسٍ طيّبة، وآثروا الموت، حباً لربنا يسوع المسيح، على أن يسجدوا للأصنام ويضحّوا للأبالسة، فيُحرَموا حياة الأبد، حياة الخلود.

وكان آنذاك في جوار آمد، أديار عامرة ذائعة الصيت تغصّ بالنسّاك الأفاضل والزهّاد الأماثل والرهبان الأتقياء، فلما شاهدوا سيف ذلك الكافر مُجرَّداً مسلولاً يقطر دماً من دماء خراف المسيح، تأجّجت في قلوبهم نار الغيرة الإلهية، فتألّبوا من كل صوب وناحية، واجتمعوا في دير عظيم يُعرَف بدير "زقنين"، واتّفقوا بقلب واحد مقرّرين: خيرٌ لنا أن نموت من أجل المسيح، لأنه تألم وتجرّع غصص الموت من أجلنا، حتى نتمجّد معه، كما قال الرسول المختار، من أن نكفر به فَنُحرَم السعادة الخالدة.

الرهبان يَمثُلون أمام الحاكم

وإذ كانت هذه الخواطر السامية تختلج في قلوب الرهبان، بلغ خبرهم الحاكم الأثيم "حاكم آمد"، وَوُشِيَ بهم بأنهم مجتمعون في مكان واحد، وهم على استعداد لمقاومة أمر المَلِك.

عندئذٍ أرسل قوماً يأتونه بنفر منهم، وأخذ يكلّمهم، بادئ ذي بدء، برقّة ولطف قائلاً لهم: "إنكم تعرفون أيها الرهبان، الأمر الذي أصدره الملك العادل، إن كلّ مَن لا يضحّي للآلهة يموت بِحَدّ السيف قتلاً، وإذ كنتم المقدَّمين في المسيحية، ما رغبتُ أنْ تؤخذوا بالسيف توّاً دون بذلي النصح لكم. على إنكم إنْ سمعتم مني، وعملتم بأمر المَلِك، نلتم مرادكم، وفزتم بالحَظوَة لديه، وإذا أصررتم على عنادكم، أبَدْتُكُم عن آخركم، وقضيتُ على حياتكم بألوان العذاب".

أما أولئك الرهبان الأمناء فلم يرفضوا أمره ورسائل الملك حسب، بل إزدَروا بها وشجبوها، وأجابوه قائلين: "إنّا لتمليقكَ رافضون، ولأمر الملك الأثيم مقاومون، ولسنا نكفر بالله وبالدين المستقيم الذي سلّمه إلينا آباؤنا، ولا نُجحده البتّة، وها إننا أمامكَ، فنفّذ حالاً بنا ما أمركَ به الملك الكافر".

فغضب الحاكم، وأوعز إلى جنوده ليفتكوا بهم، توهّماً منه إنهم يرهبون الموت فيستسلمون إلى معتقد الملك الكافر. بَيْدَ أنّ أولئك الرهبان هرعوا بفرحٍ عظيم إلى السيف، يُزاحم الواحد صاحبه آملاً في الإستشهاد قبلاً. فلما رأى الحاكم ما هم عليه من التأهب لشرب كأس المنون حبّاً للسيد المسيح، كفّ عن العبث بهم وصرفهم، وأرسل إلى المَلِك يُخبره بما جرى له. وإليك نصّ الكتاب:

"عاش مولانا الملك المتسلّط على العالم إلى الأبد. لقد أمَرَتْ جلالتُكَ أنّ كل مَن لا يضحّي للآلهة يموت قتلاً. وإن في ولاية آمد جمعاً غفيراً من الرهبان يؤْثرون الموت على جحود دينهم. فإذا كنتَ لا تمدّنا بجيش من لدنكَ فلن نقوى عليهم، لأنهم كثيرون. وإنْ كنتَ لا تستأصل للحال شأفتهم، تسلّلوا إلى المدن، واجتذبوا إلى ضلالهم أقواماً كثيرين. فلتأمر عظمتكَ، ولتبعث إلينا الجيوش الرومانية فتبيدهم من قطرنا".

تفــرّق الرهبــان

عند قراءة الملك الكتاب، إحتدم غيظاً، وللحال أرسل جيشاً عَرَمْرَماً لإبـادتهم. وما إنْ وصل الجنود حتى شرعوا يطوفون القطر، ويذبحون بحدّ السيف كُلّ مَن صادفوه، بدون شفقة. فاستشهد كثيرون من أجل اسم المسيح، ولجأ غيرهم إلى الفرار طِبْقاً لقـول ربنا:"إذا طردوكم من هذه المدينة فاهربوا إلى أخرى"[١٤٧]، و"لا تقاوموا الـشر"[١٤٨]. فاتّجه بعضهم إلى جبال ماردين، وابتنوا لهم هناك أديارا. ونزل غيرهم على ضفة الخابور، وانبثّوا من هناك إلى مجاهل بعيدة، مثابرين على إرشاد المؤمنين، ومعزّزين الإيمان الرسولي المستقيم.

متى الشيخ في بلاد فارس

كان في عِدَاد أولئك الزّهاد ناسك فاضل يُدعى متى، من قرية "ابجرشــاط" مـن أعمال آمد. كان ذائع الصيت لكثرة الآيات التي كان الله يُجريها على يديه، فهذا لما رأى الخطر يتعاظم والشر يتفاقم، تخلّى عن ذلك المكان متّجهاً نحو الـشرق، حيـث الجبـال والوديان والمغاور المجهولة. فجاء بجماعة من تلاميذه إلى نواحي نينوى، التي كانت تحـت حكم ملوك الفرس، وتفرّقوا بأطرافها. وكان في تلك الأصقاع جبل شامخ، حصين، غير مأهول، تأوي إليه الوحوش، يبلغ ارتفاعه ٣٤٠٠ قدم عن سطح البحر. فأحبّ قديـسنا السكنى هناك، فصعد، وفئة من الرهبان الفضلاء، إلى هذا الجبل، وابتنوا لهـم صـوامع سكنوا فيها، كما شيّدوا لهم معبداً صغيراً يجتمعون فيه عند تناول الأسرار الإلهية. وقضوا مدة من الزمن في تلك العزلة النائية، منصرفين إلى العبادة، في هدوء البال والطمأنينة.

ولما كان الله، عزّ شأنه، قد شرّف مار متى بصنع الآيات واجتراح المعجزات. فما عتّم أنْ شاع خبره في تلك الديار، فتَمّ فيه قول الرب:"لا تستطيع مدينة أنْ تُخفى وهـي على جبل، ولا يوقدون سراجاً ويضعونه تحت المكيال"[١٤٩]. فأخذ المبتلـون بـالأمراض

---

[١٤٧] متى ١٠:٢٣.

[١٤٨] متى ٥:٣٩

[١٤٩] متى ٥:١٤-١٥

يأتونه طلباً للشفاء، وللحال كانوا يتعافون كلهم بصلواته، وكانوا بدورهم يقومون بتزويده، ورهبانه، بقوتهم اليومي.

مار متى والعائلة المالكة في آثور

كان يومئذٍ في آثور ملك مجوسي اسمه سنحاريب، خاضع لشابور الثاني (٣٠٠-٣٧٩)، وكان له ولد نجيب، ذو هيبةٍ وجمالٍ وقدٍّ واعتدال، اسمه بهنام، وتأويله "الجميل الاسم"، وكان له أيضاً إبنة إسمها "سارة"، مصابة منذ حداثتها بداء الجذام، قد أعيا نطس الأطباء، لا بل كان داؤها يشتد يوماً بعد يوم. وبينما كانت شهرة مار متى في انتشار، لكثرة الخوارق التي كان يجريها الله على يده، بلغ خبره سنحاريب الملك.

فاستدعى هذا إليه بعض المسيحيين ليقف على حقيقة الواقع، أما هم فأنكروا ذلك ظنّاً منهم إنه يريد بهم شرّاً. فصرفهم الملك من أمام وجهه، وقد كان هذا تدبيراً إلهياً ليشهر أمر مار متى لدى الناس على يد بهنام، الفتى المصطفى، ابن الملك، المزمع أن يؤمن بالمسيح، ويُعلن إيمانه أمام هذا القديس المختار.

الأمير الشاب في الصيد

حرّك الله، الرؤوف الحنّان والراغب في خلاص البشر، قلب الفتى الوسيم الأمير بهنام أن يخرج الى الصيد، كالعادة المألوفة عند أبناء الملوك. فبارح البلاط الملكي، يصحبه أربعون فارساً من الشباب الشجعان الأمناء من خَدَمِ أبيه، يحاكونه عمراً وقدّاً، وسَعَوا يومين في طلب صيد ما يصادفهم من الحيوانات. وبغتة ظهر لهم أيل ضخم، فجدّوا في أثره إلى أن بلغوا سفح الجبل الذي يقيم فيه متى الناسك، فتسلّق الجبل ولم يُدركوه. وكانت الشمس قد توارت وراء حجب الظلام، وقد أضنكهم التعب، فالتزموا أن يبيتوا هناك قرب نبع ماء. وبعدما تناولوا قسطهم من الراحة، أخذهم النعاس، فافترشوا الأرض والتحفوا السماء، فغطّوا في نومٍ عميق.

دعوة سماوية

في هدأة الليل، وفي الهزيع الأول منه، بينما كان الأمير هنام غارقاً في سُبات عميق، تراءى له ملاك الرب وقال له:

- قم أيها الفتى.

فهبَّ الأمير لساعته من رقاده الهنيء، خائفاً مذعوراً، وهو يجهل الذي كان يكلّمه. فهدّأ روعَه الملاك وقال:

- لا تخف يا هنام!.

- فأجاب الفتى: مَن أنتَ يا سيدي؟.

- قال: إني ملاك الرب، وقد أرسلني الإله الرحمان إليكَ، لأدعوكَ إلى مَن هو الطريق والحق والحياة، وأُبلّغكَ بأنه انتخبكَ له إناءً مختاراً، وبكَ يُبدي آياتٍ وقواتٍ باهرة لا يحصيها إلا هو.

- فأجابه الفتى: أنّى لي أن أعلم هذا وأتحقق منه؟.

- قال له الملاك: إن في هذا الجبل الذي تراه، ناسكاً قديساً، على يده يجترح الله آيات وأعاجيب، فينهج هو لك الحق سبيلاً.

وأشار عليه أن يقصده، ويذعن لإرشاداته.

شكٌّ ... فيقين

أمّا الفتى، فخالجه ريب في ما قاله ملاك الرب، وظنّه أضغاث أحلام. ولما كان الصباح دعا بعضاً من رفاقه، وقصّ عليهم ما رأى وما سمع من الملاك، وكيف دلّه على الرجل الذي يسكن هذا الجبل، وعلى يديه يُجري الله الآيات الباهرة والمعجزات المذهلة. فقال له أحدهم، وكان له إلمام بالديانة المسيحية:"إنّ ما كلّمكَ به الملاك في شأن هذا الرجل لَصِدْقٌ لا ريب فيه، وقد بلغني من أناس مسيحيين، مُبْتَلين بصنوف العاهات، أنهم نالوا الشفاء على يده".

فلما سمع بهنام هذا الكلام، تحقّق صدق ما خاطبه به الملاك، ونهض على الفور وهو يرتعد، وأخذ يتسلق الجبل ومعه بعض من أتباعه، فقادهم العناية الإلهية، بلا تأخر، إلى المغارة التي يقيم فيها الشيخ الناسك.

حديث بهنام مع متى الشيخ

لما رآهم متى الناسك عن بُعد مقبلين نحوه، حرّكته نعمة الروح القدس للخروج إلى لقائهم، ولما دَنَوا منه وسلّموا عليه، رحّب بهم وأَحْسَنَ ملتقاهم، وعرف بإلهامٍ إلهي أن الرب انتخبهم له، آنية مختارة، أهلاً لإكرامه. ولما استقرّ بهم الجلوس، طفق متى يسألهم قائلاً:

– ما الباعث الذي دفعكم إلى تسلّق هذا الجبل العسر المرتقى؟. لاشكّ في أن التعب قد أجهدكم، وكما يُبان لي أنكم من حاشية ملك أرضي.

– ففتح بهنام فاه وقال: أجل يا سيدي، إني ابن الملك سنحاريب المتقلّد زمام الأمر والنهي في هذه الديار، وهؤلاء الذين تراهم خُدّام لي، وفي أول أمس خرجنا نبغي الصيد، فطارَدْنا الحيوانات، وعلى الفور تراءى لنا أيل ضخم فتبعناه، إلى أن وصلنا سفح هذا الجبل. وبينما كنا مستغرقين في النوم، وقد خارت قِوانا تعباً، ظهر لي رجل نوراني، وكشف لي أموراً كثيرة ستحدث، وأشار عليّ أن أقصدكَ، وهو الذي هدانا، ويَسَّرَ لنا المجيء إليكَ، أيها الناسك الجليل.

بشارة الإنجيل

فلما سمع الشيخ الفاضل من الفتى هذا الحديث، قضى العجب من كلام النعمة الذي كان يخرج من فِيْه، وأيقن أن الله، عزّ شأنه، قد اصطفاه.

فبدأ مار متى يُرشد الفتى من الكتب المقدسة، موحياً إليه طريق الخلاص، ومعدِّداً له عظائم الباري تعالى للجنس البشري جيلاً بعد جيل، وبهنام يُصغي إليه بكل جوارحه بلذّةٍ وانبساط، مستزيداً شرحاً في حقائقها، فأَعْمَلَ متى في تهذيبه، وأخذ يوضّح له التعاليم

الإلهية وأصول الديانة المسيحية وانتشارها في المسكونة بواسطة الرسل، والعجائب الباهرة التي رافقتهم تأييداً لها، بقوله:

للكون إلهٌ واحد، أزلي، سرمدي، قادر، بارئ الكائنات، إلهٌ عجيب ذو أقانيمٍ ثلاثة: الآب والابن والروح القدس، ثلاثة أسماء وربٌ واحد حقيقي، فهذا الإله لما رأى البشر متوغّلين في حمأة الطغيان وعبادة الأوثان، أشفق عليهم، وأرسل إبنه الوحيد لينشلهم من وهدة الهلاك، ويرفعهم إلى ذُرى المجد. فلبس هذا الابن الإله الجسد، ووُلِدَ من عذراء نقيّة اسمها مريم، وتربّى على الأوضاع البشرية كسائر الناس، مرشداً وناصحاً، ومجترحاً آيات ليس لها مثيل، فطهّر البرص، وأعاد البصر إلى العميان، وبعث الأموات أحياءً، وشفى المرضى، ومشى على الأمواج، وأشبع الألوف من كِسَرِ خبزٍ يسيرة.

بيد أن اليهود تآمروا على قتله حَسَداً، فأسلم الروح على الصليب، وقُبِر كالأموات وهو صانع الحياة، وبعد أيامٍ ثلاثة قام من غير فساد، وظهر للأطهار ببهاءٍ وسيم، وأمرهم أن ينطلقوا إلى أقطار المسكونة الأربعة، ويُتلمِذُوا الأمم والشعوب، ويعمّدوهم باسم الآب والابن والروح القدس، فَمَن آمن واعتمد خَلُص.

ثم صعد إلى السماء، وجلس من عن يمين الله الآب، وأيضاً سيأتي بمجدٍ عظيم ليَدين الأحياء والأموات، فيُجزي الصالح ويُخزي الطالح، وهو الذي أرسل ملاكه وخاطبكَ أيها الحبيب، وكل ما قال سيتمّ بكَ. فاسمع يابنيّ هذه التعاليم، وضعها في قلبكَ، واقبلها بيقين، حتى يقيمكَ في اليوم الآخر، عن يمينه تعالى، في جنة النعيم.

شروق النعمة

فلما سمع بهنام هذه التعاليم الإلهية، استنار عقله بالنور السماوي، واتّقد قلبه بنار المحبة الإلهية، فرغب في الديانة المسيحية والتمسّك بأهدابها السليمة، وقال للشيخ الفاضل:

– أريد أن أتحقّق قولكَ بالعمل. إنّ لي أختاً مريضة مصابة بداء عضال، وقد تعذّر شفاؤها، فإنْ أبرأها الله الذي أنتَ تبشّر به، آمنتُ من كل قلبي إنه الإله الحق، ولا إله سواه.

- فأجابه الشيخ الناسك: إنْ كان لكم إيمان بدون أنْ تشكّوا، فقد نلتم كل ما تريدون.

- فقال بهنام: بِدينِ المسيح آمنتُ، ولقولكَ سمعتُ وأطعتُ. فأتوسل إليك يا سيدي أنْ ترافقني.

- قال متى: بل إمضِ وائتني بها إلى هنا.

- فأجابه الفتى: كيف لأختي المجيء إلى هنا وقد أنهك جسمها المرض، فضلاً عن أن والدي يأبى عليها المجيء. إنما أرغب إليكَ يا عبد الله، إنْ نلتُ حظوةً لديك، أن تصحبني، وإني لموقن بأن أختي ستنال الشفاء على يديكَ بحوله تعالى.

فلما سمع القديس هذا الكلام، رضي بالذهاب معه، امتثالاً لربنا القائل:"مَن سألكَ فاعطه، ومَن أراد أن يقترض منكَ فلا تردّه"[150]، و"مَن سَخّرك ميلاً فامضِ معه ميلَيْن"[151]. فأخذ معه الأخوة الرهبان وانحدروا من الجبل، وساروا في القفر مسيرة يوم، ولمّا أشرفوا على مدينة آثور، آثر القديس المكوث هناك، وقد أبى الدخول فيها، فترك بهنام عنده أحد رفقائه، وتوجّه إلى المدينة مفكّراً في وسيلة يتذرّع بها لإخراج أخته، حتى يجيء بها إلى طبيب الأنفس والأجساد، وأوصى أعوانه ألاّ يبوحوا لأحدٍ بالسرّ.

بهنام يفاتح أمه بدخيلة نفسه

لما دخل الأمير على أبيه، فرح به فرحاً عظيماً، وأخذ يعانقه مقبّلاً إياه، كأنه لم يره منذ زمن طويل، ولم يأذن له بالخروج من عنده ذلك اليوم كلّه، لأنه كان شديد الحب له والتعلّق به. وعند المساء، التمس بإلحاح من أبيه أن يسمح له بالخروج لمشاهدة أمّه وأخته، فأذِنَ له بعد جهدٍ وعناء. ولما دخل عليهما، شرعت أمّه تقبّله وتضمّه إلى صدرها وهي جَذِلة مسرورة لرؤيته. وهنا فكّر بهنام أن يكشف لها ما في ضميره، لعلّه يجد سبيلاً إلى الذهاب بأخته عاجلاً، فدنا منها باحتشام، وقال لها بدالّة ورزانة:

---

[150] متى ٥: ٤٢.

[151] متى ٥: ٤١.

- يا أمّي الحبيبة، إنّ لي كلاماً أقوله لكِ.
- أجابته: قل يابُنيَّ ما بدا لكَ.

عندئذ طفق يقصّ عليها قصّته على جليّتها، واستأذنها في أخذ أخته سارة إلى الشيخ الناسك، فأخذتها هزّة التعجب بهذا الأمر وهي مرتابة منه، غير أنها لتَكسَب رضاه، وحبّاً بشفاء ابنتها من علّتها، لم تخالف إرادته، بل استجابت طلبه بطيب نفس.

وفي الغد بكّر بهنام غلساً، وخرج بأخته من المدينة، مصحوباً بالذين كانوا معه في الصيد، وما لبثوا أن وصلوا إلى القديس، فألفوه جاثياً يصلّي، فتريّثوا إلى أنْ أكمل صلاته، ثم دنا منه بهنام وخرّ أمامه قائلاً:

- ها قد أتيتُ بأمَتِكَ، مولاي.

فأومأ إليها القديس متى لتدنو منه، وجثا على ركبتيه مناجياً الله، قال:

- أيُّها الإله القوي الجبّار، الممجّد الظافر، يا بارئ الكائنات وصانع المعجزات وكاشف الخفايا، يا مَن مَدَدْتَ قبّة السماء كالخيمة، وبسطتَ الأرض سويّةً، ورفعتَ الجبال النواطح. يا مَن تخضع لإشارتكَ كل العناصر. أنتَ الذي فجّرتَ الماء من الصخرة، فشرب الشعب الكافر بالنعمة، وقد آتيتَ الأتان نطقاً خلافاً للعادة. أنتَ الذي أرسلتَ في آخر الأزمان ابنكَ الحبيب متأنّساً من بتول طاهرة، فغفر ذنوب البشر وردّهم إلى الإيمان الحقيقي، مانحاً الطُرشَ سمعاً، والمرضى شفاءً، والبُرصَ تطهيراً، والعميان نوراً، والموتى انبعاثاً، والجنسَ البشري كله إنعتاقاً من أَسْرِ الشيطان بموته الفدائي. وبعد أن أكمل تدبيره الخلاصي بحسب مشيئتكَ، صعد إلى السماء ممجَّداً، وقد أمر رسله الأطهار لينطلقوا إلى الغالم كله[١٥٢]، ويعمّدوا كل الأمم باسم الآب والابن والروح القدس[١٥٣]، وقد أولاهم سلطان عمل المعجزات الخوارق قائلاً: أشفوا المرضى، أقيموا الموتى، طَهّروا البُرصَ، أخرجوا الشياطين، مجّاناً أخذتم مجّاناً أعطوا[١٥٤].

---

(١٥٢) مرقس ١٦: ١٥.
(١٥٣) متى ٢٨: ١٩.
(١٥٤) متى ١٠: ٨.

مار متى الناسك يعمّد القديسة سارة

لوحة زيتية لراهبة فرنسيسكانية من مرسَلات قلب مريم - ١٩٥٢

فعلى هذا الرجاء نبتهل إلى رحمتكَ ياربنا، ونحن واثقون برجاء نعمتكَ، ومتوسّلون إلى مراحمكَ، أن تمنّ الساعةَ علينا بعون منَحكَ الإلهية، وتشفي أمَتكَ هذه من الداء المستولي عليها، حتى يعرف الأنام طرّاً أنكَ أنتَ هو الإله الحق، وابنكَ الحبيب وروحكَ القدوس، ولا إله سواكَ.

عين ماء تنفجر في الأرض اليابسة

ولما أنهى الشيخ الناسك صلاته، رفع عينيه إلى السماء قائلاً:"أيها الرب الإله، إصغِ إلى عبدكَ الخاطيء الحقير، وأجب إلى طلبته، وحقق بُغيته"، ثم ضرب الأرض بعصاه وقال:"أستحلفكَ أيها العنصر الأصمّ الأبكم، بقوة مَنْ بسطكَ منذ البدء، أن تنبع الساعة الماء اللازم لنا"، وللحال تشقّقت الأرض، وانفجرت منها عين ماء.

الشفاء العجائبي المنتَظر

حينئذٍ التفتَ القديس إلى الصَبيّة وقال لها:

- أكفري بالشيطان وآمني بالمسيح، حتى تنالي شفاء الجسد وطهارة النفس.

- فأذعنت الأميرة لأمره وهتفت قائلة: أكفر بإبليس وبكل أعوانه، وأكفر بالآلهة الكاذبة الصمّاء الخرساء، وبكل الساجدين لها، وأقرّ معترفةً بالله الآب الأزلي، وبابنه الحبيب السرمدي، وروحه القدوس، الإله الواحد الحقيقي، الذي إيّاه أعبد، وله وحده أسجد.

- عندئذٍ جعل القديس يمينه فوق هامتها، وقال: لتعتمد سارة، باسم الآب والابن والروح القدس. وغمّسها بالماء ثلاث دفعات، فخرجت الأميرة من الماء طاهرة نقيّة، وعاد جسمها صحيحاً وضيئاً، كأنه لم يكن فيه أثر مرض البتة.

سارة بعد أن تطهرت من داء الجذام

نعمة العماد

فعند هذه الأعجوبة الباهرة ذُهل الحضور جميعاً، وهتفوا كلهم بصوت واحد:"إنه لعظيمٌ إله المسيحين، الذي يصنع معجزات باهرة كهذه على يَدَيْ عبده مار متى! إنه وحده الإله الحق، ولا إله سواه. إنه لربّ السماء والأرض، وهو يكسر ويُجبر، ويُميت ويُحيي، وهو على كل شيءٍ قدير".

فالتفت القديس إليهم وقال:

– إن كنتم على صدق مما تقولون، وقد آمنتم بالله حقاً من كل قلبكم، فاعتمدوا لتصبحوا خِرافاً في حظيرته، وأبناءً وورثةً في ملكوته.

– فأجابه بهنام مع أصحابه، بلسان واحد: إنّا نؤمن إيماناً صادقاً بالرب الحق، الذي يجترح الآيات الباهرة والعجائب القاهرة، وبمعموديته نعتمد.

وتقدم بهنام للحال وتبعه أعوانه الأربعون. فطفق الشيخ القديس يعمّدهم الواحد تلو الآخر حتى أتى على آخرهم، وأخذوا يسبّحون الله بصوت واحد قائلين:"لنسبّح الرب تسبيح الشكر، ولنهلّل لإله خلاصنا بالثناء والتعظيم، لأنه أتى بنا إلى الوجود وكنّا عَدَماً، وهدانا إلى النور وكنّا في الظلمة، وجَعَلَنا من شعبه وفي حظيرة خرافه. فله المجد والحمد إلى دهر الدهور".

الإرشادات الأخيرة الوداعية

حينئذٍ لقّنهم القديس متى الناسك الصلاة الربيّة، وثبّتهم في الإيمان، وحذّرهم ألاّ يعودوا إلى العادات المجوسية وعبادة النار والتضحية للشياطين المَرَدَة. فكانوا يُصغون إليه ببشاشة وانتباه عجيب، وقد أسكرهم نشوة البهجة بما حصلوا عليه من الأفراح السماوية والنِعَم الإلهية.

ثم أخذ يصارحهم بما سيلحق بهم من العذابات والمِحَن، بسبب الإيمان الذي تقبّلوه، بقوله:

– إي بَنيَّ، إحتفظوا بما نلتم، فعمّا قليل سترحلون إلى المسيح الذي بـه آمنـتم .. مشيراً إلى استشهادهم المزمع قريباً.

– فأجابه بهنام الفتى المصطفى: إنّا إذا متنا ألف ميتة، فلن نجحد المسيح قـط. وزاد قائلاً: ليحيَ المسيح في قلوبنا!. وبمثل هذا هتف الجميع.

عندئذ استودعهم القديس العناية الإلهية، وصرفهم بـسلام، بعـد أن زوّدهـم بالصلاة والبركة، فعادوا إلى المدينة ودخلوها وهم يترنّمون بتسابيح حلوة إلهية، ممجِّـدين الله، ومادحين اسمه القدوس على ما حباهم به من النِعَم.

سارة تجاهر لأبيها بإيمانها بالمسيح

بلغ سنحاريب شفاء ابنته، فأمر بإحضارها إليه، ولما رآها نقية وضيئة، أُفْعِمَ قلبـه حبوراً، وبُهِتَ لهذه المعجزة، وأخذ يسأل عن كيفية شفائها، ومَن الذي أبرأها، فأجابتـه سارة، الحَمَامة المختارة:

– إنّ الله، مُبدع السماء والأرض، هو الذي مَنّ عليّ بشفاء النفس والجـسد معـاً، بواسطة عبده القديس متى.

وعند سماع الملك هذا الكلام، وقف يرتجف وقد إحمرّت عيناه، والتهب وجهـه وانطلق يصرخ:

– ويحكِ، ما هذا الهراء يا بنيّتي! ليتكِ تدرين ما تقولين.

– أما هي، فاستطردت قائلة بجرأة: وإني، يا أبتي الحنون، قد اصطبغتُ، وأخي، بصبغة العماد، وآمنّا بالإله الأحد الصَمَد الذي أبرأني، ومنذ الآن فصاعداً نحن إياه عابدون، وله وحده ساجدون. وأمّا الأوثان البُكم، فإننا لها جاحدون، وبها كافرون، ويا ليتكَ تقتدي بنا، وتتبع خُطانا.

فعند سماعه هذا الكلام، إكتسى وجهه هيئة مرعبة، وتدفّق الزَبَد من شدقيه، وأمر بإبعادها من أمامه، آملاً أن تثوب إلى رشدها.

الأميران أمام الملك ووزرائه

أحدث نبأ اعتناق الأميرين وأعوانهما الديانة المسيحية ضجة عظيمة في البلد. فاضطربت المدينة، وهاج الشعب وماج، احتجاجاً ومقتاً ونفوراً من المعتقد الجديد. وبات الملك قلقاً ساهداً، يفكّر في ما عليه القيام به لدرء هذا الطيش الشائن.

وفي اليوم التالي جمع سنحاريب عظماء دولته وقال:

– ما رأيكم في شأن هذين الولدين ومن اتبع ضلالهما؟ إني عازم على إهلاكهم جميعاً.

– فأجابوه: لا يتسرّع الملك بالسخط على الأميرين. بل ليتملّقهما وليستملْهما بالهدايا والوعود، لعلّهما يرعويان ويتوبان.

وأشاروا عليه بإحضارهما لكي يثنيهما عن غيّهما بالوعد والوعيد. فأمر الملك بإحضار الولدين، وشرع يكلّمهما برقة ولطف قائلاً:"ولدي الحبيبين، ألا تعلمان إنه لا إله إلاّ آلهتنا؟ فهي التي بسطت السماء وأوجدت الأرض، ولها وحدها ينبغي العبادة والسجود. فما لنا ورجل ضعيف مصلوب. وقد استغوى بسطاء القوم، غليظي القلب!. فاسمعا بَنيَّ مشورتي، واتّبعا نُصحي، واهتديا برشدي، وأنتما لا تجهلان عظيم حبي لكما، وشديد حرصي على صالحكما. فضحيّا للآلهة العزيزة، واسجدا لها، فيهنأ عيشكما، وتسعد أيامكما".

الجهاد البطولي في سبيل الإيمان

فتحرّك إذ ذاك بهنام، البطل الشهم، من الروح القدس، وقال لأبيه:

– إنّا لن نسجد لآلهة خرساء صنعتها أيدٍ، لها أعين ولا تُبصر، وآذان ولا تسمع، وأرجل ولا تمشي، وألسن ولا تتكلم، وليس في أفواهها نسمة حياة. وما عبدتُها إلا حمقى، وكل مَن يتّكل عليها لا رُشد له ولا تمييز.

– فلما سَمع الملك مقولته هذه، أخذته سورة الغضب وقال: ويلك يا بهنام! هل خدَعتك حِيَلُهم، وأغوتكَ أضاليلُهم؟. وحق (كيوان) الإله العظيم، وربيل وبيلوتي)

خالقي الكون، إنْ ظَلَلْتُما على اعتقادكما هذا الفاسد ولم تعودا فوراً إلى عبادة الآلهة أذقتكما مُرَّ العذاب، وأمَتُّكُما شَرَّ ميتة، وقضيتُ على حياتكما قضاءاً مبرماً. ولا تظنّا إني أرأف بكما لكونكما ولديَّ الوحيدين! لا لَعمري، إنكما لستما بأعز عليَّ من الآلهة المحبوبة التي أعبدها ولها أسجد.

عندئذٍ اتّقد في فؤاد سارة، البطلة العذراء، نيران الغيرة الإلهية، فأجابت أباها بهدوء ورباطة جأش قائلة:"كيف لا تُبصر هذا الانقلاب الذي جرى لي يا والدي، بشفائي من ذلك الداء الخبيث؟! لَعمري، إنك تُبرهن بتصرفك هذا، أنكَ لأقلّ فهماً وأشدّ حماقة من آلهتكَ، لأنها حجارة وخشب لا عقل لها ترجع إليه. وأما أنتَ فبإرادتكَ الحُرّة قد حرمتَ نفسك التمييز. ولذلك أُعلِنُ أمام الملأ، إني بكَ كافرة، وبآلهتكَ جاحدة، ولتعاليم السيد المسيح الخلاصية خاضعة وتابعة، إذ قال:"مَن أحبّ أباً أو أمّاً أكثر مني فلا يستحقني"". فلما سمع الملك، جلمودي القلب، هذا القول، طردهما من أمامه بغضب شديد، وقد أضمر لهما الشر.

بهنام وسارة عند والدتهما

خرج الشقيقان، بهنام وسارة، من بين يدي أبيهما الحاقد، ودخلا على أُمّهما، فوجداها قلقة مضطربة كأنها على جمر نار، تتقلّى، خوفاً على مصيرهما، وأخذت تخاطبهما باكية متنهدة:

– ولديّ العزيزين المحبوبين، أشفِقا على زهرة شبابكما، وارحما رشاقتكما، وامتثلا لأوامر أبيكما، وإلا سيخضّب جمالكما بدمكما عند سَورة نفسه، فتُثكلانا كلينا.

– فأجاباها بصوت واحد: إننا لَنَتخلّى عن الوالدين، وننبذ المُلْكَ، ونزهد في حُطام الدنيا، إتّباعاً للمسيح الذي به آمنّا إيماناً حقيقياً صادقاً، وهو القائل:"مَن لا يبغض أباه وأمّه وإخوته، نَعَم حتى نفسه أيضاً، فلا يقدر أن يكون لي تلميذاً". ولأجل هذا لا نبالي بالأذى والعذاب والموت، إننا لنزدريها، و"ما من شيء على وجه الأرض قادر على أن

يفصلنا عن محبته الإلهية: لا طرد، ولا جوع، ولا عُري، ولا سيف، ولانار، ولا موت، ولا حياة، ولا هذه الأشياء الحاضرة ولا المُقبِلة، ولا علوّ، ولا عمق، ولا خليقة أخرى".

أما أمّهما فكانت تعجب من نشوة الفرح البادية على محيّاهما عند هذا القول، وتتألم لهلاكهما، لأنها كانت على يقين أن أباهما سيحزّ رأسَيهما إنْ لبثا مصرَّيْن على عنادهما. فأخذت تتملّق لهما وتتوسل إليهما، ذارفةً العبرات السخينة رجاءَ أن تَحملهما، ولو ظاهرياً، على امتثال أمر أبيهما.

أما هما فلم ينثنيا عن عزمهما، بل إزدادا تمسّكاً ورسوخاً بإيمانهما، وقالا لها:"هذا لن يكون أبداً لأنّ المسيح يقول: مَن يكفر بي قدّام الناس، فابن الإنسان يكفر به أيضاً أمام ملائكة السماء". ولما عرفت ألاّ حيلة لها في إمالتهما عن عزمهما، تَنحّت عنهما جانباً حزينة كئيبة، وقد سالت عبراتها مِدراراً.

الملك يستشير أرباب دولته

وفي الغد جلس الملك على سَدَّته، وجمع إليه عظماء دولته وأرباب مشورته، وقال:

- ماذا نصنع بالولدين، وبأيّ ميتة نميتهما؟.
- فقالوا له: أيها الملك العظيم، المتسلّط على ولايتكَ، والمثبِّت أركانها، لا تستعجل بإهلاكهما لأنهما وليّا العهد الوحيدان، وعزيزان عليكَ. فهلاّ أمرتَ جلالتكَ وناديتَ بعيد حافل للآلهة، وجمعتَ سكان المدينة لنحر الذبائح؟ فإذا تمّ كل شيء، أُدعُ الولدين إليكَ، فيستحيا أمام الحشد المجتمع ويضحّيا للآلهة، وإلاّ فافعل بهما ما بدا لكَ.

فاستحسن الملك رأيهم، وفعل كذلك.

المناداة بمهرجان شعبي

وفي اليوم التالي، نُودِيَ بعيد حافل للآلهة. فتألّب سكان المدينة وضواحيها لنحر الذبائح وتقديم القرابين والسجود للآلهة، ودُعيَ بهنام وسارة لمشاهدته كذلك. وعند

وصولهما استقبلهما الملك بحفاوة وإجلال، وأخذ يكلّمهما بحلاوة ورقة، رجاءَ أنْ يحملهما على السجود للآلهة، وزاد في إغرائهما قائلاً:

– أمَا تريان، يا عزيزيَّ وفلذة كبدي، إن جميع سكان المدينة يقرّبون القـــرابين للآلهـــة أربابنا، ويبالغون في إكرامهم. فما بالكما وحدكما تنحرفان عن تأدية هذا الواجب؟ وكان الخليق بكما أن تكونا في مقدمة المقرّبين، لكونكما ولَدَي الملك ووريثَي عرشـــه؟ فـــادْنُوَا إذن، يا حبيبيَّ، وقرّبا الذبائح للآلهة، ولا تُخجلانا أمام هذا المحفل الكبير المجتمع، وتجعلانا هُزءاً وسخرية لأعواننا وأرباب مشورتنا وأفراد الشعب كله، ومن ثم تحرمان نفـــسَيْكما هذه السعادة وهذا الشرف.

وأما هما، فكانا كالجبل الراسخ الذي لا يتزعزع، وكالبيت المبني على الصخرة، لا تهزّه الرياح ولا تؤذيه العواصف والأمطار، والتفتا إلى أبيهما وقالا له بتؤدة وجرأة:

– قد سبقنا وقلنا لكَ: إننا لن نسجد لآلهتكَ، ولا نَـــتَّعِظَ بنـــصائحكَ، ولا نعمـــل بمشوراتكَ الجهنمية التي تريد أنْ تمليها علينا. فإنه مكتوبٌ في كتاب الله: لِتُفْنَ من على وجه المسكونة الآلهة الكاذبة، التي لم تصنع السماء والأرض، وأما نحن فإلهنا واحد، وله ينبغي السجود والتسبيح دون غيره.

ثم إلتفتا الى حيث كان مذبح الأصنام وأضافا:

– لقد كفرنا بكَ يا (بيل) الصنم الأعمى. كفرنا بِكِ يا (بيلوتي) الخرساء، كفرنا بكَ يا (كاؤون) الأطرش! ونُقِرُّ معترفين بالإله الواحد، الآب والابن والروح القـــدس، الـــذي تذعن له كل الكائنات، فله وحده نسجد وإياه نُسبّح ونعبد.

فعند هذا الكلام المهين للآلهة، إحتدم الملك غيظاً، وتطاير من عينيه شرر الغضب والإنتقام، وأمر أن يؤخذا فوراً بحدّ السيف، وأن يُماتا شرّ ميتة، فحالَ، دون تنفيذ رغبته، الأكابر، وأعْمَلُوا بتهدئته قائلين:

– سَكِّن روعكَ أيها الملك المعظَّم، فإنهما فتيّان جاهلان، ولا يدريان ما يقولان، وتـــأنَّ عليهما لعلّهما يثوبان إلى رشدهما، ويندمان على فعلتهما.

فلم ترُق له هذه الخواطر، ففقد عاطفة الأبوّة، وصار كالجمل الهائج يزبد ويرعد، ثم خرج كالزوبعة لا يلوي على شيء، وقد كانت عيناه تُرسلان بريقاً مخيفاً، وأساريره قد تصلّبت، وظلّ يذهب ويجيء، يهدّد الهواء بقبضته، ويُتمتم بعض ألفاظ غير مفهومة.

إلى مذبح الشهادة

خرج القديسان الباسلان من المحفل مرفوعَيْ الرأس، واجتمعا برفاقهما الأربعين الذين اعتمدوا معهما، وكان هؤلاء أيضاً مُؤْثرين الموت على التضحية لإبليس الطاغوت، فقام فيهم بهنام الفتى خطيباً وقال:

– تعرفون أيّها الأحباء حق المعرفة، أنّ أبي قد صمّمَ على قتلنا، فعلينا أنْ نثبت في الإيمان القويم، ونعتصم بديانة الحق التي علّمنا إياها الشيخ الناسك، على الرغم من كل التهديدات، هازئين بالعذابات مهما تلوّنت أو تعدّدت.

ثم أشار عليهم أن يتهيأوا للذهاب إلى معلّمهم الفاضل وأستاذهم الكامل، القديس متى، ليتزوّدوا ببركاته قبل أن يتجرّعوا كأس المنون، فأجابوه باتفاق الكلمة:

– ليكن أمركَ مولانا.

فأسرجوا الخيول، وأخذوا الزاد الضروري للسفر، وغادروا المدينة خِفْيَةً، وساروا إلى أن بلغوا أكَمَة قريبة منها، فنزلوا فيها للإستراحة. فوُشِيَ بالأميرين لدى الملك، بأنهما أخذا جمعاً غفيراً من الأجناد والعبيد، وخرجا بهم مدجّجين بالأسلحة، فثار ثائر الملك، وهاج وماج، وتطاير شرزاً ولهباً، ظانّاً إنهم، لنشر لواء العصيان عليه، قد خرجوا مُدجَّجين، وللحال أمر جنوده باقتفاء أثرهم، وشنّ الحرب عليهم عواناً، والفتك بهم قاطبة، وقد أقسم قائلاً:

– وحق الآلهة، إنْ رجعتم من دون إبادتهم عن آخرهم، لأُنزلَنَّ بكم أشدّ العذابات هولاً، ولأضربنّ أعناقكم ضرباً بلا رحمة، لأنكم لأوامري تعصون، ولإرادة الآلهة تنكرون وتجحدون.

الأميران بهنام وسارة جاثيان يصلّيان قبل نيل إكليل الاستشهاد

لوحة زيتية لراهبة فرنسيسكانية من مرسلات قلب مريم - ١٩٥٢

فجدَّ أعوان الملك إذ ذاك في أثرهم، حتى أدركوهم في مكان حلّهم، فانقضّوا عليهم كذئاب خاطفة، وذبحوهم عن آخرهم ذبحَ الشاة الوديعة، ولم يستبقوا غير بهنام وسارة حُرمَةً لهما، عسى أن ينقلبا عن رأيهما، وقد يندم الملك ويُرسل أمراً بإبقائهما. غير أن بهنام، البطل الصنديد، أخذ يلومهم محرّضاً إياهم على تنفيذ أمر الملك، وقائلاً لهم:

– اقتلونا نحن أيضاً ولا تشفقوا علينا، فالقتل يوصلنا إلى جنّة الخلود والحياة السعيدة. وإن لم تفعلوا، فيقتصّ منكم الملك، ويحكم عليكم بالموت الشنيع.

فلما رأى القائد استعدادهما للموت دون رهبة أو وجل، وأنهما على الرغم من الدماء المسفوكة أمامهما، لا يزالان سديدَي الرأي، تبدو عليهما أمارات السرور، كأنهما في عرسٍ لا مأتم، أوعز للحال إلى أحد القتلة ليقطع رأسيهما دون تأخير، تخلّصاً من غضب الملك، فبادر السيّاف فوراً ليفتك بهما، غير إن بهنام رجاه أنْ يُمهله ريثما يصلّي، ثم يفعل ما أمر به، فأجاب الجلّاد إلى سؤاله.

مار بهنام جاثياً يصلّي

جثا الأمير بهنام على الأرض، وحذت أخته حذوه، واستغرق في صلاة خاشعة، فأخذ يناجي الله تعالى قائلاً:

"أيها الرب الإله القدير الرحمن، يا بارئ الكائنات ومدبّرها، يا مَن قوات السماء تخضع لكَ وتخنع، وآلاف الألوف وربوات من الملائكة تعنو لكَ وتخشع. إنكَ برأفتكَ غير المدركة، ترضى بهدايا البشر الحقيرة، وتغفر ذنوب الذين يتوبون إليكَ من كل قلوبهم. والآن يا ربّ، يا محبَّ البشر، نطلب إليكَ ألاّ ترذلنا من أمامكَ نحن الخطأة البائسين الذين نبذنا عبادة الأصنام، واعترفنا بألوهيتكَ الرفيعة، واتّسمنا بسِمَةِ العماد المقدس، فرغبنا عن الحياة الدُّنيا، وزهدنا في حطام العالم، وأعرضنا عن الملك الفاني، وهجرنا شعبنا، وكفرنا بالأب والأمّ، ولم نرغب إلا فيكَ يا ملك الملوك وسيد السادات.

فاقبلْ منّا يا ربّ هذه الذبيحة الدموية، وارضَ عن دمِ عُنقَينا المسفوك كذبيحة طاهرة وقربان مقبول. نقدّم لعظمتك، اللهمَّ، هذا الدم كفّارة عن سيئاتنا وآثام العالم

أجمع، متضرّعين إليك ألاّ تسمح أنْ يتملّك الجوع والسبي، والسيف والطـاعون، في أي مكان يُذكَر فيه اسمكَ القدوس، واسم عبدَيكَ البائسين. وأن تجيب إلى سؤال كل مَن لجأ إلينا، وهَب له الشفاء من مرضه. وكل مَن مسّه الشيطان، واستعان باسمكَ العزيز واسـم عبدَيْكَ، بلّغه، اللهمَّ، مُنيَتَه، وفُكّه من أَسْرِ إبليس اللعين.

وارضَ يا رب، برحمتكَ الواسعة، عن كل المؤمنين والمؤمنات الـذين يتوقعـون الرجاء باسمكَ الكريم، ويحتفلون بعيد عبدَيكَ. واقبل نـذورهم وقرابينـهم وعـشو‌ءهم وبواكير غلاّتهم، وامنحهم بُغيَتَهم التي تُسهِلُ لهم الفوزَ بالخلاص الأبدي. وبارك يـارب قِنيتهم، وكثّر وارداتهم، واحرسهم من كل ما يؤذي النفس والجسد". وانتـصب قائمـاً وهتف:" أجل يارب، استمع صراخنا".

صوت من العلاء

عندئذٍ جاءه صوت من العَلي هاتفاً:"أَبْشِرْ وقرَّ عيناً، يا بهنام، أيها العبد الـصالح والأمين، لقد استجاب الرب صلاتَكَ، وإنه يفعل لكَ كما طلبتَ، ويعطيكَ أكثـر ممـا أردتَ. ولأنكَ أحببتَ اسمه القدوس، وزهدتَ في المُلْكِ الأرضي، هلـمَّ ادخـل، ورِث الملكوت السماوي، الذي أفراحه لا تزول، ونعيمه لا ينقص".

الضحيتان الكريمتان في جنّة الخلود

فطفح قلب القديس فرحاً، عند سماعه هذا الصوت السماوي العـذب، ورسـم على وجهه إشارة الصليب، وفعلت أخته الطوباوية نظيرهُ، وجثيا على ركبَتَيْهما، مـادَّيْن عُنُقَيهِما إلى السيّاف، ورفعا طرفَيْهما إلى السماء وقالا:"يا ربّنا يـسوع المـسيح، اقبـل روحَيْنا، ولاتُقم على أبوينا هذه الخطيئة، بل إهدهما إلى معرفتكَ والإيمان بكَ، وأحصهما بين خِراف رعيتكَ".قالا هذا، وقطع السيّاف رأسَيْهما، وطارت روحاهما الطاهرتـان إلى جنّة الخلود، ظافرتَيْن، بغِرِّ الغلبة وإكليل الظفر في أورشليم السماوية، بين مصاف حاشية الحَمَل الإلهي، وكان هذا في العاشر من كانون الأول حوالي سنة ٣٧٢م.

الأرض تتفتّح وتواري أشلاء الشهداء

ترك الجنود أجساد أولئك الشهداء الأبرار، أُسود المسيح الأطهار، مثل كومة أحجار، ثم عادوا إلى المدينة وأخبروا الملك بما جرى، فلم يُبدِ علامة الندم على قتل عزيزَيْه، بل تصلّب قلبه كأنه قد قُدّ من حجرٍ صَلِد، وأوعز إلى القتلة أن يأخذوا ناراً ويُسرعوا فيُحرقوا أجساد الشهداء كي لا يبقى لهم أثر على الأرض. فامتثلوا أمره، ولما بلغوا إلى مقتل الشهداء، رأوا أجسادهم تلمع لمعان أشعة الشمس من خلال الغيم الماطر. وإذ كانوا عاكفين على تكويم الحطب، وكادوا يضرمون النار فيها، زلزلت الأرض زلزالها، وحدث اضطراب عظيم ودويّ هائل، كادت تُزهَق أرواحهم خوفاً وهلعاً، وانفتحت الأرض تحت أشلاء الشهداء، وأخفتها في أحشائها لئلا يحرقها الأئمة المجرمون. فلما شاهدوا هذه الغرائب، لاذوا بالفرار، وولّوا مدبرين وهم يرعدون، وأخبروا الملك بكل ما حدث، فصرخ ذاك المنافق صرخة عظيمة، وشرع يولول ويقول:"حمداً ومجداً لآلهتنا الظافرة! إنّ غلبتها لعظيمة، فإنها لم تؤهّل هؤلاء الأشقياء لأن يحترقوا، بل وارتهم في أعماق الأرض المظلمة لئلا يراهم أحد من الناس. تعساً لهم من عصاة مَرَدَة!".

العدل الإلهي

وبعد أيام يسيرة من هذا الحدث، أنزل الله بسنحاريب، أبي مار بهنام، عقاباً شديداً، إذ سمح لإبليس اللعين أن يمسّه، فشرع يُعول، ويُزبد، ويولول، ويُصرّ بأسنانه، ويمزّق ثيابه، ويعضّ بدنه، تائهاً في البراري والقِفار، وظلّ على ذلك أياماً كثيرة، لكن ذلك العقاب المؤلم كان مزمعاً أن ينقلب إلى خيره.

العناية الربّانية

إن الله الرؤوف الذي يَبلي ويُشفي، ولا يرضى بموت الخاطيء الأثيم بإثمه، أرسل ملاكه إلى الملكة، وقال لها في الرؤيا:

– لا تخافي أيتها السيدة، فإن زوجكِ عتيد أن يُشفى.

– فقالت له، وهي كئيبة: مَن أنتَ يا سيدي؟.

- فأجاب: أنا خادم الرب العليّ، الذي أُرسلتُ إلى ابنكِ بمنام، وهديتُه من ظلام الغواية إلى نور الإنجيل المستقيم، وردَدْتُه عن الضلالة الوثنية إلى معرفة الإله الحق. وهو الآن في جنة النعيم، يرفل بفرحٍ لا يزول، ومتوشّح بمجدٍ لا يوصَف، وعلى هامته إكليل بهيٌّ، سنيّ. وسَيمجّده الرب بالآيات الباهرة والمعجزات الزاهرة، كيف لا وهو القائل: "مَن سقى كأس ماءٍ بارد فقط باسم تلميذ، فالحق أقول لكم إنه لا يضيّع أجره"[١٥٥]. فكم بالحري مَن شُغِفَ بحبه تعالى، وبذل دمه في سبيل مرضاته، ولهذا ستكون عِظامه ينبوع الخيرات، ومجرى المعونات لكل المرضى والمعذّبين. والآن إذا كنتما تهجران عبادة الأوثان، وتؤمنان بالله، يكون لكما خلاص وشفاء للملك.

- فأجابته الملكة: وماذا يلزمنا أن نعمل؟.

- قال: أن تقتادي زوجك إلى مقتل الشهداء، وهناك ستُدَلاّن على أمر خلاصكما.

العاهلان على ضريح ولديهما الشهيدين

ولما كان الصباح، أركبت الملكة زوجها مركبة، وأمرت الجنود أن يحفّوا به، إلى أن بلغوا المكان المعهود، فحلّوا على جانب الهوّة التي أخفت أجساد الشهداء. ولما جُنّ الليل، أخذت الملكة تتضرّع إلى إبنها بخشوع، وتستنجده بدموعٍ سخينة، وتنهدات دفينة، قائلة: "أي ولدي وقرّة ناظري، يا بُنيَّ العزيز، أغفر لنا ما أجرمناه إليكَ، وأغثْ أباكَ البائس المتعذب بهذا الداء القاسي الأليم. إشفع به، حتى إذا برئ من مرضه هذا، نؤمن نحن أيضاً بالله القدير الحق، ونعتقد بأنّ لا إله سواه، ويكون لنا حصة معكَ في دار النعيم وجنة الخلود". وظلّت تناجيه بمثل هذه العبارات، والقلب جريح، والجسم منها طريح، حتى أخذها النعاس واستغرقت في سبات عميق. فتراءى لها إبنها بمنام، متسربلاً بالبهاء والنور، وعلى رأسه إكليل من الغار، وقال لها: "يا أمّاه، كفاكِ بكاءً وحزناً، فإنْ أردتِ شفاء والدي فاستدعي مار متى الناسك، الساكن في الجبل الذي تجاهكما، فتحصلا معاً على شفاء النفس والجسد"، وغاب عنها.

---

(١٥٥) متى ١٠: ٤٢.

فلمّا أسفر الصباح، أرسلت الملكة تستدعي مار متى، كما أُوحي إليها، وعادت هي وزوجها إلى المدينة. فأجاب القديس الناسك إلى سؤلهما، وأتى آثور مستصحباً معه بعض الأخوة الرهبان، وفي طريقه زار الموضع الذي قُتِل فيه الشهداء.

خروج الشيطان

ولما وصل مار متى إلى آثور، استقبلته الملكة بإجلال واحترام، وشرعت تحدّثه بكل ما جرى لها ولزوجها، ولما انتهت من كلامها، أخذ القديس يخاطبها، بلين، من الكتب المقدسة، حتى وطّن فيها الإيمان، وأنار عقلها بالكلام الإلهي الموحَى به. فقالت:

– إنّا نذعن لأوامركَ على أن تشفي الملك.

فأوعز القديس بإحضاره، فَمَثَلَ أمامه. ولما رآه تأسف على تشوّه سُحنته، والبشاعة التي أحدثها له إبليس اللعين. ثم جثا مار متى مصلّياً إلى الله تعالى وقال:

– يا ربَّنا يسوع المسيح، يا طبيبَ الأنفس والأجساد، وجابر منكسري القلب، ألتمِسُ من حنوِّكَ ورحمتكَ أن يأتينا غوثكَ في هذا الوقت، فيُشفى عبدكَ سنحاريب من دائه العضال هذا، فيشهد الكل بقدرتكَ، ويعرفوكَ، ويؤمنوا بكَ، ويمجّدوا اسمكَ القدوس، ويعتقدوا بأنكَ الإله الحق ولا إله سواكَ.

ثم إلتفتَ إلى الملك وانتهر الشيطان، وأقسم عليه، باسم المسيح، أن يخرج من المريض. وفي تلك الأثناء وَلْوَلَ إبليس، وخرج من الملك، شبه الوحش، وهو يصرخ ويقول: "سُحقاً لكم يا عبيد يسوع الناصري، فقد جعلتموني هزءاً وسخرية في الأرض كلها!". فزجره القديس وأقصاه، ولم يعد يظهر البتة. فذُهل الحاضرون، ومجّدوا اسم الله سبحانه صانع المعجزات، وآمنوا بأنه بارئ الكائنات، ولا إله سواه.

الديانة المسيحية في آثور

أما الملك، فإذ رجع إلى نفسه، وعاد إليه عقلُهُ، ورأى الانقلاب العظيم الذي انقلب إليه بصلوات مار متى، خرّ على قَدَميْ القديس، وأخذ يتوسل إليه أن يغفر له ما

ارتكبه من المساوئ والشرور على غير علم منه، وينشله من وهدة الضلال المتسكّع، هو فيها، إلى أرض الحق، وينقذ آثور، المتوغّلة في فيافي الطغيان وعبادة الأوثـــان، إلى عبـــادة الرحمن. فلما رأى القديس تأهبه واستعداد قلبه لقبول الحق والنور، عمّده هو وامرأتـــه، كما عمّد في ذلك النهار جمعاً غفيراً من أهل مدينة آثور، وشفى مرضى كثيرين، فـــصار فرح عظيم للملك وحاشيته وسكان مدينته.

من مآثر سنحاريب الخالدة

ثم إن الملك دنا من القديس، وعفّرَ وجهه أمامه وقال:

– سَلْني ما تريد أعطيكَ، حتى لو طلبتَ نصف مملكتي لفعلتُ.

– فأبى القديس أن يأخذ شيئاً من المال، بل قال له: أعلاكَ الله تعالى، ومَدَّ في عمـــركَ إلى الأبد، ولتكن مملكتكَ في نماء، وشرفكَ في سناء. ولكن لي حاجة يسيرة، وفي قضائها فائدة لك جزيلة، وشهرة عظيمة، وذكر طيّب في العالم الأرضي، وفي الآتي الجزاء الخالد.

– فأجابه الملك: أذكر حاجتكَ، فأنا طوعُ بنانكَ، وعلى ما يسرّكَ.

– قال: حاجتي أن تَبني لنا مُصلّى في مكان سكنانا. فإنّ الله، عزّ شأنه، مُزمِعٌ أن يجمع فيه جموعاً من النسّاك كثيرين، فيكون محلاً لإقامة الصلوات، ورفع التضرعات، وتقدمـــة القرابين، شكراً وتسبيحاً وحمداً للثالوث الأقدس، ولكَ الأجر الخالد والذكر الصالح.

فسُرّ الملك جداً لهذا الطلب، وأوعزَ حالاً بتهيئة المواد لبناء الهيكل، واســـتدعى البنّائين وأوصاهم أن يعملوا بموجب ما يأمرهم به مار متى، الأب الفاضل. فبارك القديس الملك والملكة، وعاد إلى منسكه بعد أن استودعهما النعمة الإلهية. وقد شيّعه الملك، تتبعه الجنود، حتى موضع قتل الشهداء، فنـــزلوا هناك وصـــلّوا، فقـــال الناســـك الفاضـــل لسنحاريب:

– ينبغي لنا، أيها الملك، أن نشيّد في هذا الموضع هيكلاً يضمّ رفات الشهداء، ليغدوا محطّ رحال زائريهم المرضى. على أنّ عِظامهم هي كنز ثمين، وسوف يظهر منها عجائب كثيرة!.

– فقال له الملك: دع عنكَ هذا يا عبد الله، ودعنا نهتم نحن به، وأما أنتَ فأصرف عنايتكَ إلى بناء كنيسة لرهبانكَ.

وفي اليوم التالي، ارتقى مار متى الجبل، وأخذَ الفَعَلة في بناء الهيكل، فبُنِيَت كنيسة فخمة هي "كنيسة دير الشيخ متى"، ونُحِتَت صهاريج للماء، وأُحيطت المباني بسورٍ عالٍ، وكل ذلك على نفقة الملك الخاصة، وقد أسهم المسيحيون المجاورون، والبعيدون أيضاً في تقديم الهدايا، أما المُعوزّون، فكانوا يشتغلون بأنفسهم.

عدد الرهبان يتكاثر مع الأيام

نما عدد الرهبان نمواً عظيماً، بانضواء كثيرين تحت رايتهم، الذين زهدوا في الحياة الدنيا ومباهجها، مؤْثرين حياة النسك والتقشّف عليها. وكان آخرون يقصدون الجبل من أماكن نائية للسكن فيه، وكان قوم منهم يقطنون الكهوف، وغيرهم المغاور، أو ديورة صغيرة. وفي مدة ليست بطويلة، كثر سكانه، وصار عددهم يربو على السبعة آلاف، ولذلك السبب عُرِفَ ذلك الجبل باسم "جبل الفاف"، أي "جبل الألوف"، ويُعرَف اليوم بـ "الجبل المقلوب" أو "جبل الشيخ متى". ولما شاهد مار متى تقاطر الناس إلى ديره، وإن الطريق المؤدّي إليه صعب المرتقى، كتب إلى الملك طالباً إليه أن يساعده في تمهيد الطريق، فأمر الملك بتعبيده، واستغرق هذا العمل زمناً طويلاً، وكلّف تعباً جزيلاً ونفقات طائلة.

اكتشاف كنز ثمين

لما أراد سنحاريب الملك أن يبني هيكلاً لإكرام الشهداء في محلّ مقتلهم، سألت الملكة زوجَها أن يُوليها هذا الأمر، ليكون لها أجر عند الله، وللذكر الطيب، كما صار له ثواب في تعمير كنيسة لمار متى، فلبّى الملك سؤلها. ولما كانت على أهبّة العمل، ظهر لها مار بهنام في الرؤيا، وأشار عليها أن تُرسلَ إلى الدير، فتُحضر من الرهبان مَن يستحق أن يمسّ أجساد الشهداء.

ضريح الأميرين الشهيدين بهنام وسارة في مزار الجب

ولما لاح الصباح، دعت بعض عبيدها وأوفدهم إلى الجبل، وكان القديس مني قد رقد بالرب، وخَلَفَه في رئاسة الدير مار زكّى، وما إنْ بلغوا حتى رحّب بهم هذا ترحيباً حاراً، وسُرّ جداً لّما أطّلع على سبب مجيئهم، فأوفد معهم مار إبراهيم نائبه، مستصحباً معه أخوين من الرهبان يحاكيانه فضلاً وفضيلة.

فقبلتهم الملكة كملائكة من السماء، وأحسنت استقبالهم، وأكرمت ضيافتهم، ثم خرجوا قاصدين إلى حيث مقتل الشهداء، والملكة ترافقهم يحفّ بها أعوانها والحَشَم. ولما وصلوا، انفرد مار إبراهيم والأخوين الراهبين للصلاة، ثم تفرّس في الهاوية، وإذا بها نور باهر يغلب نور الشمس في اللمعان، ورائحة ذكية تعبق بشذاها العنبري، فنزل مع رفيقيه، فألِفُوا أجساد الشهداء ملقاة على الحضيض، كُلاً على حدة. فطلب إلى الملكة أن تتبعه، فنزلت هي أيضاً، وطفقت تقبّل الأجساد المقدسة، وإذ تفرّست فيها وبحثت، عثرت على جَسَدَيْ ولديها بهنام وسارة، وكانا على حدة، كأنهما الشمس والقمر بين الكواكب. فسُرّ القديس مع رفيقيه والملكة لاكتشافهم ذلك الكنز الثمين، فكان فرح وكان بكاء.

الضريح المجيد التالد والمزار الخالد

ما إنْ إكتشفوا هذه الذخائر الثمينة واللقى الدفينة، حتى شمل الفرح الجميع، ومجّدوا اسم الله، ثم أمرت الملكة أن يأخذ العمّال في بناية الجب، فعملوا بجدّ ونشاط، وانتهى بعد أيام، وصُنِعَ البناء على شكل أقبية ضيّقة.

ثم جُمِعَت أجساد الشهداء الأربعين، وَوُضِعَت في مكان يليق بقدسيّتها. وأما رُفات الأميرين بهنام وسارة، فصَنعت لهما الملكة أمّهما، لَحْدَيْن من رخام، فوضعهما مار إبراهيم في الجدار الشرقي، طرفَ البئر، باحتفال عظيم.

من محاسن الملكة

بعد هذا، استأذن مار إبراهيم الملكة بالرجوع إلى ديره، فلبّت طلبه. غير أنها ناشدته ملحّة أن يأخذ ما يحتاج إليه من الذهب والفضة لينفقه في بناء هيكل للرهبان، يكون لها في بنائه الذكر الطيّب والثواب الخالد.

فلما رأى حُسْنَ طَوِيّتها، تناول ما يحتاج إليه، ثم انصرف. وبعد بلوغه منسكه، شيّد على اسمه معبداً جميلاً في موضع يعرف بـ "كوكياثا"، أي العواصف، في فتحة هاوية على الجهة الشمالية من دير مار متى. وغلب عليه منذ ذلك الحين اسم "دير مار إبراهيم"، وهو الآن خالٍ من الرهبان، وآثاره وضخامة جدرانه لا تزال قائمة شاهدة.

قبر تفيض منه نِعَم وبركات

أما الأخَوان الراهبان، اللّذان ساعدا مار إبراهيم في بنيان قبر مار بهنام، فلم يعودا إلى منسكهما، إذ إن مار إبراهيم تركهما لإقامة الصلاة في الجبّ، أي بيت عظام الشهداء، واستقبال وفود الزوّار الواردين عليه طلباً للإستشفاء. ومذ ذاك الحين أخذ المسيحيون يتكاثرون في تلك النواحي، وطفقَ الناس يتقاطرون من كل صوب وفجّ، والمرضى والمعتلّون بأجمعهم نالوا البرء بالتجائهم إلى أولئك الشهداء، واستفاض خبر هذه الشفاءات والكرامات في بلاد فارس بأسرها. وما مضى زمن طويل، حتى نما عدد الزوّار، وضاق بهم المجال، ومَلَّ الراهبان، وسئمت نفسيهما، إذ لم يكن فيه موضع يقطنانه هرباً من حرّ الصيف وبرد الشتاء، بيد إن الله، عزّ شأنه، الراغب في خلاص جِبْلة يديه، وفّر على الأخوين الراحة بواسطة اسحق المؤمن.

رجل البر ... اسحق المؤمن

كان اسحق هذا من أشراف الفُرس وأغنيائهم، أزمع أن يشخصَ إلى أورشليم لزيارة قبر الخلاص، ومعه حشد كبير من أهل داره وحَشَمه وعبيده، بينهم عبد كان يحبه كثيراً، فيه روح شرّير يخبطه بين حين وآخر، فيتعذّب عذاباً مرّاً. فقادته العناية الإلهية في

طريقه إلى موضع الشهداء القديسين، فأخذ يستقصي سبب إقامة ذينك الراهبين هناك، وهما في عزلة عن الناس، وليس لهما مأوى يسكنان فيه، فقيل له: أن هناك ذخائر شهداء قديسين تفيض منها معونات لِمَن اعتصم بها عند الشدّة.

فأتى اسحق بسرعة ليتبرّك بتلك العظام، فصادف على باب البئر الراهبَين المشار إليهما، فقصّا عليه قصة مار بهنام على حقيقتها من أولها إلى آخرها، وأطلعاه على الأعاجيب الباهرة التي أجراها الله على يديه. فدخل اسحق المزار وهو يردّد:"ويلَنا، إننا مسيحيون بالاسم دون الفعل!". وجثا يُصلّي بقنوت وخشوع، ملتمساً من القديسين شفاء عبده. ثم جالس الراهبَين وتفاوض معهما طويلاً، وبعدئذ انطلق إلى مكان حَلّه. ولشدّة تأثّره مما رأى وسمع، بات ليلته هناك ساهداً مفكّراً.

مار بهنام يتراءى لاسحق

لما انتصف الليل، تراءى مار بهنام في الحلم لإسحق، وقال له:"اسحق، اسحق، لقد أُستُجيبَت صلاتُك، وسُمعت طِلبَتُكَ بشأن عبدِك الممسوس. لذا يجب أن تهتم بتشييد معبد على اسمي هاهنا، وسيُجزيكَ الله، عزّ شأنه، جزاءً صالحاً شكوراً، أكثر من ذهابكَ إلى أورشليم"، قال هذا وغاب عنه.

فهبّ إسحق من نومه مذعوراً، وطفق يناجي نفسه قائلاً:"أيصحّ هذا الحلم، أم أنه أضغاثَ أحلام"، وما كاد يتنفس الصبح، حتى قام ومضى إلى الراهبَين، وأخبرهما بكل ما رأى في المنام، ففرح الراهبان، ثم نزل وإياهما إلى قبر الشهداء، فجثا وصلّى مليّاً وهو يقول:"أيُها الإله مشرّف الشهداء، ومكلّل المجاهدين بإكليل الغار. أصغِ إلى التماس عبدِك الخاطئ ولا تُصرف وجهكَ عني، إن نفسي مضطربة وقلقة من الحلم الذي رأيتُ. فأشفق اللهمّ على غُلامي البائس بجاه أصفيائك الذين أراقوا دمهم في سبيل حبك". ثم عاد إلى موضعه.

شفاء العبد الممسوس

عندما أرخى الليل سدوله، واضطجع الجميع وناموا، تراءى مار بهنام للعبد الممسوس بشكل جندي مدجَّج بالسلاح، وطعنه بحربة كانت بيده، وقال له:"ليشفكَ المسيح ابن الله"، وللوقت خرج الشيطان بهيئة خنسزيرة تقبع، فانتهره القديس، فتوارى مخْزياً.

وكان الغلام يولول وهو غارق في سُبات عميق، فهبّ النيام على صوته، وسأله مولاه، وهو مدهوش حائر في أمره. فقصّ الفتى عليه الحادثة على جَلِيّتها، فأسدى حينئذ إسحق ومَنْ معه الشكر لله، وأفاضوا في الثناء عليه تعالى وتمجيده. ثم أخذ اسحق الصبي وذهب به إلى الراهبَين، وبعد أن قصّ عليهما خبر الأعجوبة التي تمّت في غلامه، كشف لهما عن عزمه واستعداده لبناء هيكل، إكراماً للأمير الشهيد، وتلبيةً لرغبة القديس نفسه الصريحة التي أبداها له في الرؤيا، شاكراً الله الذي صنع معه هذه النعمة، وأهّله ليكون شريكاً لقديسيه.

مأثرة إسحق الخالدة

لما تأكد الراهبان من عزم اسحق الراسخ على البِرّ بوعده، أرسلا وفداً إلى مار زكّي، مدبِّر الرهبان في جبل الفاف، يعرّفانه بكل ما جرى وبنوايا اسحق الفارسي المبرورة، فأوفد مار زكّي، على الفور، نائبه مار إبراهيم مصحوباً برجال ذوي حذْق، لإنجاز البناء. ولما انتهوا إلى الجب حيث قبر الشهداء، رحّب بهم الأخوان الراهبان واسحق وأحسنوا ملقاهم. ثم أخذ إسحق يخبرهم بما جرى، وكان مار إبراهيم عارفاً خبيراً متضلّعاً من الكتب المقدسة، فشرع يعِظَه، ويعرّفه بعظائم الله وعجائبه، واسحق يصغي إليه بلذّة وانبساط.

وفي الغد، أرسل مار إبراهيم مَن يُخبر الملكة بما حدث لغلام اسحق، وظهور مار بهنام له، وحثّه إياه على بناء المعبد. فأيّدت الملكة هذه النوايا الكريمة، مبدية إستعدادها

لتقديم كل المساعدات ليتمّ البناء كما يشاء الله وشهداؤه، واستأنفت قائلة:"لولا علمي أنه تعالى قد خصّ هذا الصنيع بإسحق، لَكنتُ بعثتُ بكُلّ ما يقتضي".

ولما عوّلوا على وضع الحجر الأول على فم البئر، تراءى مار بهنام في الحلم لمـار إبراهيم قائلاً:"أيها الأب المبارك، لا تصنعوا كما يبدو لكم، بل ليكن بناء المعبد بعيداً عن الجب، مقدار رمية حجر إلى جهة الغرب"، فكان كما أراد .. ولهذا ترى الدير مفصولاً عن معبد الضريح حتى يومنا هذا.

وفي الغد شرعوا في البنيان، وقوة الله كانت تسندهم. ولم تنفـكّ الملكـة عـن إسعافهم، حال كونهم في غِنى عن كل مساعدة. ولما انتهى المعبد تماماً، أُلحِقَت بـه عـدة بيوت لسكنى المرضى وذوي العاهات، يحيط بها جميعاً سور ضخم.

دير الجب ... مثوى لرفات الأميرين الشهيدين

حينئذ نُقلت ذخائر الأميرين الشهيدين، مار بهنام وأخته الطوباويـة، مـن محـل إستشهادهما "معبد الجب)" ووضِعَت في هذا المعبد الجديد الذي بناه إسـحق الفارسـي لإكرامهما[١٥٦]، وأما رفات رفاقهما الشهداء الأربعين فتُرِكَت في الجب حيث كانـت. ومذ ذاك اليوم سُمّيَ ذلك الدير بـ "دير الجب"، ويعرَف اليوم بـ "دير مار بهنام"، وما برحت الكرامات تجري على أيديهم، وتُعينُ كل مَن لاذ بذخيرة عِظامهم حتى يومنا هذا.

نسأله، تعالى اسُمه، بشفاعة شهدائه، أنْ يمنَّ بالراحة والسكينة على بيعته وشـعبه وعلى أقطار الدنيا الأربعة، الآن وفي كل حين وإلى أبد الآبدين .. آميـن.

---

(١٥٦) أُعيدت ذخائر مار بهنام وأخته سارة إلى الجب ثانية عام ١٣٠٠م (عن الكتابة التي حول الضريح في الجب).

✠ مديحة مار بهنام ✠

١. تعـالوا نَمدَحْ نَـشرحْ بالأخبـارْ
قصَةْ مـار بهنـام، الرجـلُ البـارْ
وأُختُـهُ سـارة، ورَبعُـهُ الأحـرارْ

٢. هذا الطوباوي، كانْ مِنْ جنسِ الملوكْ
ابـن سـنحاريبْ، ملـك الملـوكْ
في بلـد آثـور، موصوفْ بالسلوكْ

٣. أُمُّـهُ شِـرينةْ، بنـتُ الأُمـراء
جنسُها معلـومْ، بـينَ الـوزراء
صـارْ لهـا إبنـةْ، سَمّتْها سارة

٤. هـذه المـسكينةْ، كانـتْ حزينـةْ
في داءِ البَـرَص، كانـتَ مَمحونـةْ
مِنَ الأطبـاء، مـا وَجـدتْ معونـةْ

٥. بهنـامْ المعظّـمْ، قـامَ في الـدّلالْ
مَعـزوزْ مُكـرّمْ، في أعظَـمْ جـلالْ
مَسعودْ مُتـنعمْ، في كـلّ الأحـوالْ

٦. الله تعـــالى، قَـــدْ إصْــطفاهُ
مـن دِيـنِ الأصنامْ، رَجَّـعْ هَـواهُ
في دِيـنِ المَـسيحْ، جَعَـلْ رِضـاهُ

٧. في بعضِ الأيـامْ، خَـرَجْ مـار بهنامْ
مـع الأربعـين، رَبعِـهِ الـسهام
إلى الـسبراري، بـالعزِّ والاكـرامْ

٨. لَمّا رَكبوا الخيـلْ، أضنوا بـالكلالْ
في طلـبِ الـصيدْ، شَكْله كـالغزالْ
حتـى أوصـلهم، لَحفَـةَ الجَبَـلْ

٩. أدركهـم الظـلامْ، أَمسُوا في العِتـامْ
رأى في الأحـلامْ، مَلِـكَ الـسلامْ
قُـمْ إرقَ الجبَـلْ، تَجِـدْ الكـلامْ

١٠. هنــاكَ يوُجَـدْ، شـيخْ مُمَجَّـدْ
راهـبْ مُكـرَّمْ، كَـثيرْ مُتعبـدْ
إسمُـهُ متـى، ناسـكْ مُتزهَـدْ

١١. الـشيخْ مـار متـى، الله أوحـاهْ
يأتيـكَ الفتـى، قُـم للتقـاهُ
وأكسرِزْ عليـه، وأَحـسِنْ مَثـواهُ

١٢. فقـامَ الفتـى، صَـعِدَ الجَبَـلْ
فَوجَـدَ الـشيخْ، المَلـؤ كمـالْ
قـائمْ في الـصلاةْ، وَجـهُ مُتهلّـلْ

١٣. سَجَدْ أمامه، بخوفْ وَخُشوعْ
وعَينُهُ تَسكُبْ، أحرَّ الدموعْ
قالَ أطلبُ منكَ، إهدِني الرجوعْ

١٤. بدأ يُرْشِدُهُ، ويكْرُزْ عَلَيهِ
طَريقَ الخلاصْ، أوحى إليهِ
تعليمْ إلهي، وضّحْ لَديهِ

١٥. يُوجَدْ في الدُنيا، إلهٌ واحدْ
أزلي قادرْ، بالعِزْ مُنفردْ
ليسَ سِواهُ، آخرْ مُمجَدْ

١٦. واحدْ هُوَ بالذّاتْ، مُثلّثُ الصِّفَاتْ
آبٌ وإبنٌ، وروحُ الحَياةْ
إلهٌ عَجيبْ، عَديمُ المَماتْ

١٧. الأبنُ الوَحيدْ، لَبسَ الجَسَدْ
مِنَ العذراء مَريمْ، ظَهرْ مُتجَسِدْ
ليُخلِّصْ آدمْ، الساقطْ بالحَسَدْ

١٨. كَرزْ وَعلّمْ، تَعليمَ الإنجيلْ
ظَهرَ في الدُنيا، طاهِراً جَليلْ
عَمِلَ الآياتْ، لَيسْ لَها مَثيلْ

١٩. مِنْ أجلِ الصَّلاحْ، أُهينَ وماتْ
وفَوقَ الصَّليبْ، أسلَمَ الحَياةْ
بعدَ مَوتِهِ، صارتِ القّوّاتْ

٢٠. قُبِرَ كالأمواتْ، جالِبُ الحَياةْ
ثلاثةْ أيامْ، غيرْ مُكتَمِلاتْ
جِسمُهُ بقى، خالٍ مِنْ فَسادْ

٢١. قامَ مِنْ قَبرِهِ، بمَجدٍ عَظيمْ
ونورٌ ساطِعْ، وبَهاءْ وَسيمْ
وعِزْ وَهَيبَةْ، والحَجَرْ مُقيمْ

٢٢. ظَهرْ للأطهارْ، بَعدَ القيامَةْ
وبَعدَ الأربعينْ، صَعِدَ السَماءْ
وجَلَسْ مِنْ عَنْ، يَمينِ العَظَمَةْ

٢٣. أيضاً سَيأتي، بمَجدٍ عَظيمْ
لِيَدينَ الاحياءْ، والمَوتى الرَميمْ
يُسعِدْ الصالحْ، ويُخزي الذَميمْ

٢٤. إسمع بُنَيَّ. هَذِهْ التَعاليمْ
ضَعها في قَلبِكْ، بِحُسن اليَقينْ
حتّى يُقيمَكْ، عَنْ جَنبِ اليَمينْ

٢٥. حقّـاً يقينـاً، إنـي سَـمِعْتُ
ولأقوالِـكْ، خَـضَعتُ وَطِعـتُ
بِـدينِ المَـسيحْ، إنـي آمنـتُ

٢٦. لي أختٌ مَريضَةْ، مَرضاً مُذيبْ
في داءِ البَـرَصْ، جِسمُها كَئيبْ
إنْ كُنتْ تَشفيها، أيُها الطَبيبْ

٢٧. أَتحقَقْ أنَّكَ، رَجُلْ روحـانيْ
إلَهَـكْ هُـوَ، إلَـهْ حَقّـاني
حـالاً أعتَمِـدْ، وأَصيرْ نَصرانِي

٢٨. أُختَـكْ مَريضَةْ، رَبّـي يَشفيها
لِـدينِ المَسيحْ، أنـا أهـديها
مِنْ خُبثِ الثَلاّبْ، هُوَ يُنَجّيها

٢٩. قال ارغبْ مِنكَ، أيُّها القَديسْ
قُم إنـزَلْ مَعْنَـا، بِقلـبِ أنيسْ
وخَلِصْ أنفُسَنا، مِنْ يَدِ التَعيسْ

٣٠. قـامَ مـار مَتـى، أَخَـذْ عَـصاهُ
لِلـرَبّ يُـصَلّي، لِيَـسْمَعْ دُعـاهُ
إلى أن وَصَـلْ، مَوضِـعْ رآهُ

٣١. قالَ مار متى، رُحْ لِلمَدينَةْ هوَذا
أُخْتَـكْ، كَـثيرْ حَزينَـةْ
اجْلُبْهـا مَعَـكْ، بِكُـلْ سَـكينَةْ

٣٢. بَـشَرَ أُمَّـهُ، هَـذِهِ البِـشارَةْ
سَـريعاً أخَـذْ، أُختَـهُ سَـارةْ
حَتّـى أوصَلَها، حَيـثُ إنتِظَـارَهْ

٣٣. جَثـا يُـصَلّي، الشَيخُ الفاضِـلْ
بإيمـانْ وَثيـقْ، ورَجـاءْ كامِـلْ
يَـدعو رَبَّـهُ، مُجيـبُ الـسَائِلْ

٣٤. قَـالَ يـا رَبّـي، أظهِـرْ قُـدْرَتَكْ
وإعْمَـلْ إشـارَةْ، وأظهِرْ عَظَمَتَـكْ
بِجَـاهِ الآمِـكْ، وقِيامَتَـكْ

٣٥. الله تَعـالى، سَـمَعْ دُعَـاهُ
في الارضِ اليابِـسَةْ، ضَـرَبَ عَصاهُ
وَعَـينْ فاضَـتْ، حَـسَبْ هَـواهُ

٣٦. فَعَمَّـدْ سـارَةْ، بِهَـذا المَعـينْ
بِإسمِ الثـالوثْ، أعـني الأقـانيمْ
حَـالاً شُـفِيَتْ، مِـنْ داءِ الألـيمْ

٣٧. ظَهرَتْ نَقيّةٌ، مِنْ داءِ البَرَصْ
مِنْ هذا الوَجَعْ، جِسْمُها خَلُصْ
والنِعمَةَ نالَتْ، مِنَ المُخلِّصْ

٣٨. لَمّا رآها، أخوها النَجيبْ
طَلَبَ العِمادْ، بِشَوقٍ مُذيبْ
حَتّى لا يُحرَمْ، مِنْ هَذا النَصيبْ

٣٩. إعتَمَدْ مار بِهنام، مَعَ الأربَعينْ
مِنْ يَدْ مار مَتى، الشَيخْ الحليمْ
بِحُسنِ النِيّة، والقَلْبْ السَليمْ

٤٠. فَلَمّا نالوا، نِعمَةَ العِمادْ
حالاً تَنقّوا، مِنْ كُلِّ فَسادْ
شَكَروا الله، خالِقَ العِبادْ

٤١. كُلْ واحِدْ مِنهُمْ، بَدأ يَتَرنَّمْ
تَسابيحْ حُلوةْ، طَفَقْ يَتَكَلَّمْ
مِنْ أقوالْ داوُدْ، أخَذْ يُترجِمْ

٤٢. جاؤوا لِلبَلَدْ، وَهُمْ مَسْرورُونْ
دَخَلوا آثورْ، وهُمْ مادِحونْ
أتوا الشَوارِعْ، وهُمْ فارِحونْ

٤٣. قالَ إسمَعوني، أنا هُوَ بِهنامْ
ابنْ سنحاريبْ، مَلِكِ الآنامْ
ها قَدْ جَحَدْتُ، عِبادَةْ الأصنَامْ

٤٤. هَذِهِ هِيَ، مِنْ صُنْعِ البَشَرْ
مِنْ خَشَبْ حَقير، أو مِنَ المَرمَرْ
هي تَماثيلْ، صَمّاءْ كالصَخرْ

٤٥. لَهُم أيادي، ولا يَلْمسُونْ
وَلَهُمْ آذانْ، ولا يَسْمَعُونْ
ولَهُمْ أُنوفْ، ولا يَشَمّونْ

٤٦. وَلَهُمْ أعيُنْ، ولا يُبصِرونْ
وَلَهُمْ أرجُلْ، ولا يَسلِكونْ
وَلَهُمْ أفواه، ولا يَنطَقونْ

٤٧. هَذهِ الديانَةْ، هِيَ باطِلَةْ
على الضَلالَةْ، هي حاصِلَةْ
وكُلّ الشُرورْ، لَها شامِلَةْ

٤٨. ضَجّةَ عَظيمَةْ، صارَتْ في البَلَدْ
مِنَ الشيخِ العَجوزْ، وحَتّى الوَلَدْ
قالوا ما يُمكِنْ، هَذا المُعتَقَدْ

٤٩. رَفَعوا الدعوى، لِعندِ المَلِكْ
قالوا هَذا الدِّينْ، قَطعاً لا يُسْلَكْ
كيفَ يَقبَلْهُ، عاقِلٌ مِثْلَكْ

٥٠. إبنَكْ وبِنْتَكَ، سارة وبهنامْ
مَعَ الأربَعينْ، الرَبْعِ الكِرامْ
ها هُم يَنطِقون، بِأفصَحْ كَلامْ

٥١. بإيمانْ جَديدْ، نادوا جِهارا
بإلَهْ مَصلوبْ، بكُلْ حَقارَةْ
هَذا المُعتَقَد، دِينُ النصّارى

٥٢. ها قَدْ أبْطَلوا، دينَنا القَديمْ
وَقَدْ كَفَروا، بِالدينِ القَويمْ
بإيمانِهِم، هَذا السَقيمْ

٥٣. قالَ سِنحاريبْ، لِيأتِ إبنايَ
وَلْيَمْتَثِلا، بَينَ يَدَيَّ
لأرى مِنهُمْ، ما بَلَغْ لِيَّ

٥٤. لَمّا حَضَرا، أمامْ سنحاريبْ
سارة وبهنامْ، الفَتَى النَجيبْ
حالاً أقَرّا، بِدينِ الصَليبْ

٥٥. قالَ بَنِيَّ، إسْمَعُوا أباكُمْ
يَطيبْ عَيشُكُمْ، وِيَكثُر هَناكُمْ
وإنْ خالَفتوني، يَعْظَمْ شَقاكُمْ

٥٦. والآنَ أسجُدوا، لإلَهي بيلْ
وَلِبيلوتي، مَوْلايَ الجَليلْ
وَقُدّام كاوونْ، صاحِبْ الإكليلْ

٥٧. قالوا لِقَولِكْ، نَحنُ ما نَسْمَعْ
لآلِهَتِكْ، قَطْعاً ما نَخْضَعْ
وَعْدَكْ ووَعيدَكْ، لَنا ما يَنْفَعْ

٥٨. نَحنُ كَفَرنا، ببيلْ الصَّنَمْ
كَفَرْنا بِكَ، يا زُحَلْ الأصَمْ
وببيلوتي، الصَخْرُ الأبكَمْ

٥٩. نُؤمِنُ بالآبْ، والإبنْ الوَحيدْ
والروحِ القُدُسْ، الرَبْ المَجيدْ
إلَهُ عَجيبْ، وَهُوَ الفَريدْ

٦٠. مِنْ أمامْ وَجهي، قالَ أخرِجُوهُمْ
مِنْ بَينِ الأحيا، مَحياً أُمحُوهُمْ
ومَوتاً قاسِياً، حالاً أميتُوهُمْ

٦١. لمّا خرَجوا، قَصدوا الجبَلْ
عِندَ مُرشِدهُمْ، الشيخِ المِفضالْ
حَتّى ينالوا، نِعمةَ الكَمالْ

٦٢. أدركَهُم الجنودْ، في نصفِ الطَريقْ
قَتَلوا الأربَعينْ، وأبْقوا الشَقيقْ
علَهُ يرجَعْ، عَقْلُهُ ويُفيقْ

٦٣. بهنامْ وسارةْ، بَقِيا في الحَياةْ
وَعَنِ العالَمْ، قَدّما الصَلاةْ
بِضَربِ العُنُقْ، نالاَ الإستِشهادْ

٦٤. بضَرْبِ العُنُقْ، نالوا الشَهادَةْ
بهَذِهِ المِيتَةْ، نالوا السَّعادَةْ
فيا لَهَا مِنْ، حُسْنِ الإفادَةْ

٦٥. إنشَقّتِ الأرْضُ، وابْتَلَعَتْهُمْ
داخِلَ أحشاها، هِيَ سَترَتْهُمْ
مِنْ قُوةِ النارْ، هِيَ نَجَّتْهُمْ

٦٦. ضَربَةْ عظيمَةْ، ضُربَ الشَقيْ
بِمنظَرْ شَنيعْ، بينَ الناسْ بَقي
جَزاءْ حَقّاني، مِنَ الربْ لَقي

٦٧. تاهَ في البَراري، وقَعْ في الأخطارْ
مُسَّ عَقْلُهُ، اضْطَربْ في الأفكارْ
ما عادَ قطعاً، يَسكُنْ في الديارْ

٦٨. بَدأتْ تُصلّي، عَنهُ إلى الربْ
المَلِكَةْ شِيرين، صاحِبَةَ الأدَبْ
بحُسنِ النِيّةْ، وقلبٍ مُضْطَرِبْ

٦٩. قالَتْ: بجاهِكْ، وَجَاهْ أوليائِكْ
بهنامْ وسَارةْ، وشُهَدائِكْ
خَلِّصْ سِنحاريبْ، عَبدَكَ المَلِكْ

٧٠. فظَهرْ لَهما، بالعِزْ والإكرامْ
بهنامْ وسَارةْ، في أبهى مَقامْ
ثُمَّ دَلاّها، على ما يُرامْ

٧١. أرْسَلَتْ تَدعو، الشيخَ الوَقورْ
وَهيَ تَرجُوهُ، بحَقِّ الغفورْ
لِيَأْتِ حالاً، يُخلِّصْ آثورْ

٧٢. دَخَلَ على المَلِكْ، بارَكْ عَليهِ
فَحالاً رَجَعْ، عَقْلُهُ إليهِ
وتُمَّ اعتَمَدْ، بَينَ يَدَيهِ

٧٣. إيمـــانُ المَــسيحْ، دَخَــلَ آثــورْ
فَبَنَــى البيَــعْ، نَــصَبَ الـدُيورْ
وَصَــارَ فيهـا، كمثـلِ الدسـتُورْ

٧٤. قَـبرُهُمْ يَكـونْ، ينبـوعَ الـشِفاءْ
لِكُـلِ مَـنْ فيـهِ، أنـواعُ الـشَقاءْ
وَمَـنْ قَـصَدْهُمْ، قـدْ نـالَ الهَنَـاءْ

٧٥. عيـدُهُمْ يكـونْ، عَـشْرَةْ في كـانونْ
في شَـرقِ المَوصِـلْ، دَيـرُهُمْ يَكـونْ
بَنـاهُ إسـحَقْ، الرَجْـلُ المَـأمونْ

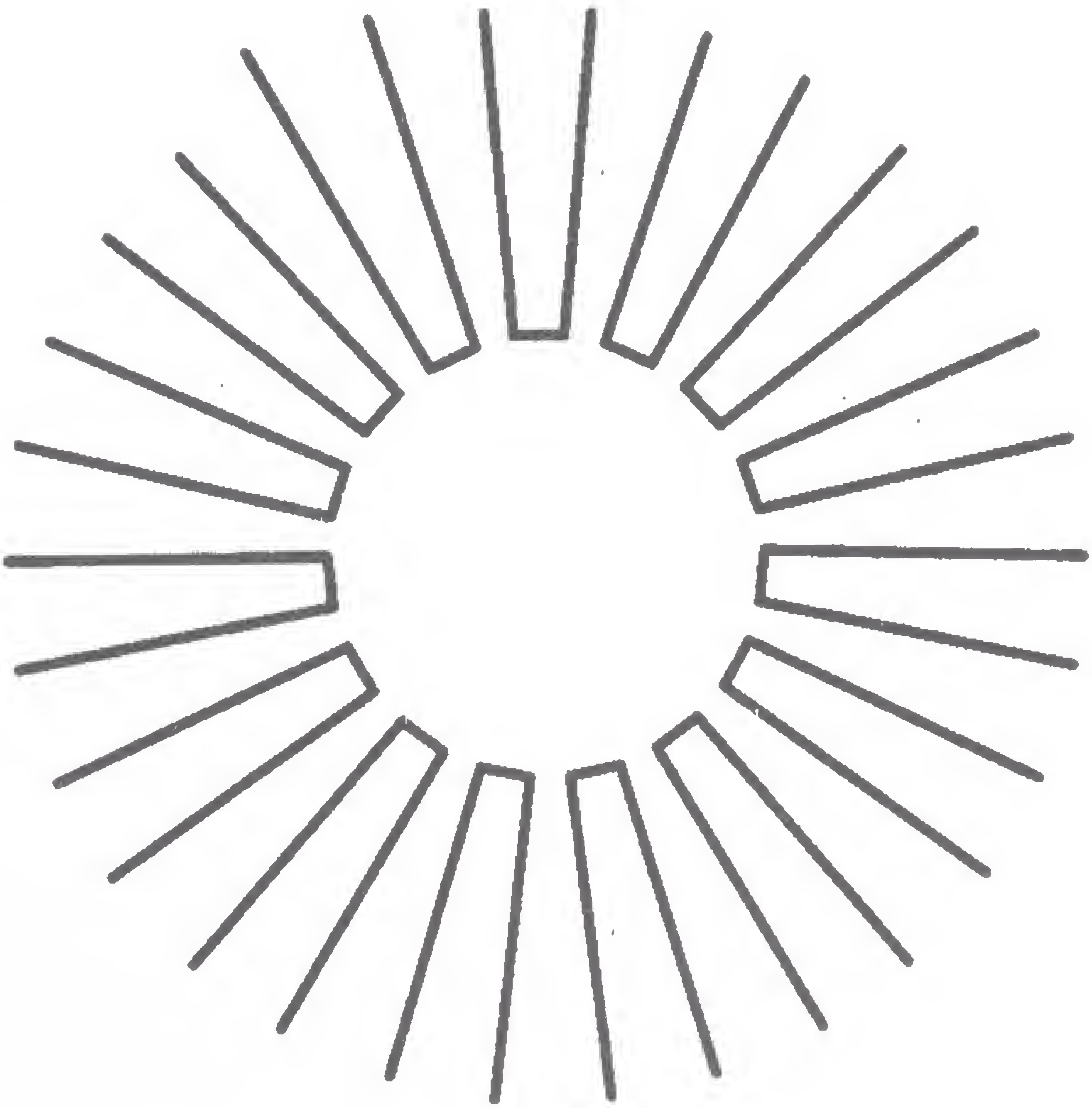

✠ تساعيّة القديس بهنام وأخته سارة الشهيدين ✠

– اللهمَّ إصغِ إلى معونتي.

– يا ربّ أسرِع إلى إغاثتي

– المجد للآب ...

١. أيُّها الأمير القدّيس بهنام الشهيد. يا مَنْ بِعِلَّة الصيد دعاكَ الله من بلاط أبيك إلى لحْفِ الجَبَل المقلوب. حيثُ أشرَقَ عليك في الليل نوراً سماوياً. وأرسلكَ إلى الشيخ متى الناسك. ففتحتَ قلبكَ وعقلكَ لتعاليمه القويمة. إلتَمِسْ لي مِن مَولاكَ الذي أحبَبْتَ. أنْ أفتحَ عقلي وقلبي للتعاليم الخلاصية. وأسلُك بنورها بدون خوف ولا حياء. لأستَحِقَ أن أنالَ النعيم السماوي .. آمين.

أبانا .. السلام .. المجد

يا مار بهنام .. صلّ لأجلنا

٢. أيُها القديس بهنام الشهيد. يا مَن لَمْ تخشَ أن تُجاهِرَ بإيمانكَ أمامَ أبيكَ وأُمِّكَ الوثنيَّيْن. بل ضَحّيتَ بأعزّ ما لديك في الدنيا. الجاه والعرش وحتى الحياة. محبةً بالسيد المسيح. أُطلُبْ لي من المولى العظيم. الذي جَنّدكَ لِخِدمَتِه. أن أكونَ مِثلَكَ أميناً في اتّباع الدعوة التي دعاني إليها. زاهِداً في الأهل والأقارب والمصالح الدنيوية. فأستَحِقَ أن أتمتع نَظيرَكَ برؤيَةِ الربِّ المجيد .. آمين.

أبانا .. السلام .. المجد

يا مار بهنام .. صلّ لأجلنا

٣. أيُّها القديس بهنام الشهيد، يا مَنْ لَمْ تَرهَبْ الموتَ الذي هدَّدك به والدُكَ. بَلْ قَدّمتَ عُنُقَكَ للسيف حُباً بالفادي العظيم. وأيّدتَ بذلك أنّ لاموت ولا حياة ولا ضيق ولا سيف يقدِر أنْ يفصلكَ عنه تعالى. اسأل الربَّ الرحيم الذي ضَحّيتَ ذاتكَ

حُباً بِه. أن يؤهّلني للإقتداء بِكَ. فأُضحّي أنا أيضاً بكل غالٍ ورخيص. كي أحافظ على فضيلة الإيمان. متمسّكاً بالإيمان الصحيح. برغم الإضطهادات ومصاعب هذه الحياة المُرّة والقاسية .. آمين.

أبانا .. السلام .. المجد

يا مار بهنام .. صلّ لأجلنا

٤ . أيّتها الأميرة القديسة سارة الشهيدة. يا مَنْ تَطَهَّرتِ بالمعمودية من بَرَصِ النَفس والجَسَد. وضحّيتِ على مثال أخيكِ بإكليل المجد الفاني. وختَمتِ حياتَكِ مَعه بالإستشهاد. إلتمسي لي مَوهبَةَ الثبات في القداسة إلى النَفَسِ الأخير من حياتي. واطلبي لي النِعمَةَ التي ألتمِسُها بحرارة .. آمين.

أبانا .. السلام .. المجد

يا مار بهنام .. صلّ لأجلنا

٥ . أيُّها القديسان المُعظَّمان بهنام وسارة الشهيدان الشريفان. صلّيا لأجل هذه البلاد العزيزة التي تقدّسَتْ بدمائكما الكريمة. لأستحقَ أن أنالَ من الربِّ الرحيم. ولِكُلِّ مَن يَدعو باسمكُما. شفاءَ النَفسِ والجَسَد. والخلاصَ منَ الشيطان وبلوغَ المراد. إحفظا بشفاعتكما وديعةَ الإيمان في هذه البلاد. وابسطا فوقها رايةَ السلام. واحرُسا رؤساءَنا وكَهَنتنا ورُهبانَنا في التقوى والقداسة. وشعبَنا رِجالاً ونِساءً. شُبّاناً وفَتيات وأطفالاً. من غرورِ هذا العالم. والملذّات الأرضيّة. والأزياء العصرية الفاسدة. لكي نَستَحِقَ على مثالكما. أن نُعَدَّ مع رُفقائكُما الشهداء القديسين. وسائر المعترفين الأبرار .. آمين.

- تحت ذيل حمايتك ...
- يا مار بهنام .. صلّ لأجلنا
- أيتها القديسة سارة .. صلّي لأجلنا

✠ حسّاي مار بهنام الشهيد (تُقال في الجب) ✠

فروميون: السُبح لله الرحمان، المُبجّل عِندهُ مَوتُ أصفيائهِ، والكريمُ بعينهِ دَمُهُم، الذي استدعى من ظلام الطغيان والضَلالة، الشهيد الماجد مار بهنام إلى نور الإنجيل الساطع، الحق الذي يليق له المجد والإكرام الآن وفي كل أوان وإلى أبد الآبدين. آمين.

سدرو: أيُّها الربُّ الإلَه الحَنَّان، يا مَنْ إذ كان إبنك الحبيب صار إنساناً لأجلنا. وارتفع على الصليب. وبسَطَ يديه على الخشبة. إجتَذَبَ إليه جميعَ الشعوبَ الضَالّة. وعلَّمها أن تسجد لك.

أيها الآب، وقَرَّبها إليه وقدَّمَها لِلروح القدس فهو بِرأفَتِهِ الغَزيرة قَد تنازَل وأظهرَ حُبَّهُ في آثور ميراثِه. وحَرَّك قلبَ الفَتى البهي الوسيم الرشيق القَد، الذكي، الفَطِن، القديس بهنام بن سنحاريب الملك. وأخرجَهُ إلى البرية مع طُغمةِ الجنود رفقائه الأربعين. وهناك اصطاده بشبكة، الرؤيا التي أعلنها له. واقتاده إلى مار متى الناسك، ومُدبّر السبعة آلاف راهب، الساكن جبل الفاف، لكي يهديه إلى الطريق المستقيم. وبعدما تقبّل مار بهنام تعليم الشيخ القديس، ونالت سارة أخته شِفاءَ جَسَدها من داء البَرَص، بالعِماد الذي مَنَحها إياه مار متى، من المياه التي فَجّرها، بآية سماوية من الأرضِ اليابِسة، اعتَمدَ مار بهنام مع جُملة رفقائه الأربعين باسم الآب والابن والروح القدس.

فيا لِلعَجَبِ المذهل! إذ إنّه لَمّا سَمِعَ سنحاريب، وعَلِمَ صِحَةَ الخَبَر استشاطَ غَضباً على وَلَديهِ. وأمر أن يُقتلا بغيرِ شَفَقَة. فَمَن يقدر، أيها الشهيد الماجد، والصنديد الباسل، مار بهنام أن يَصِفَ مُستوفياً مدائحَكَ الغرّاء! ويَستقصي المفاخر التي نِلتَها مِنَ العلاء!

فالآن نحن واقفون أمام ضريحك الشريف، يا أعظم الشهداء الأماجد، راغبين أن تقبل الابتهالات والتضرّعات التي نوجّهُها إليك، طالبين أن تنال لنا من كنوزِ مولاك النعم الضرورية لخلاصِنا، وعلى الخصوص نسألُك في شأن هذا الدير المبني على اسمك وساكنيه.

وصَلّ لأجل قُطرِنا وأمَّتِنا. وتَشَفَّع لأجلِ الرُعاة ورعاياهم الموافين إليك بالنـــذور والهدايا. فتقبّل، أيُّها الشهيد الجليل، هذه الهدايا، وقَدِّمْها إلى مولاك الإلهي لِيَرحَمَنا ويُسبِغَ علينا نِعمَةُ الروحية والجسدية، لكي نُصعدَ كُلُّنا المجدَ للآب الذي اصطفاكَ، وللابن الذي مَجدَكَ وبَجَّلَكَ، وللروحِ القُدُس الذي كَلَّلَ هامَتَكَ بإكليل البهاء، الذي يليقُ لهُ المجد. والشكر لكَ ولأبيك ولروحكَ القدوس، الآن وفي كل أوان وإلى أبد الآبدين. آميـــن.

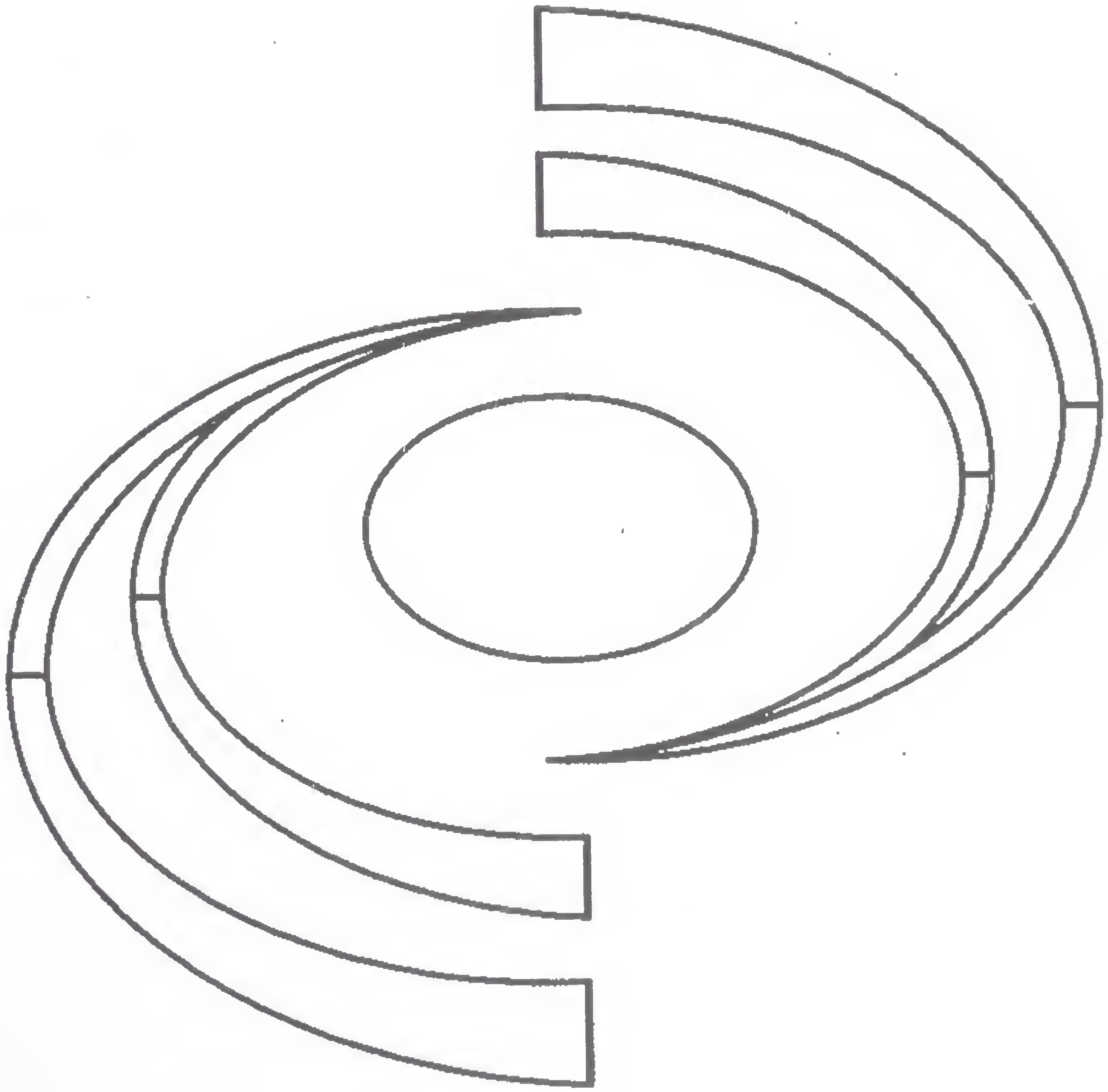

المصادر والمراجع

١. ياقوت الحموي ؛ معجم البلدان ؛ ليبسك ؛ ١٨٦٦-١٨٧٣.

٢. ابن العبري ؛ التاريخ الكنسي ؛ لوفان ؛ ١٨٧٢-١٨٧٧.

٣. رحلة يابالاها إلى البلاد الغربية ؛ طبعة باريس ١٨٨٠.

٤. ابن العبري ؛ تاريخ مختصر الدول ؛ بيروت ؛ سنة ١٨٩٠.

٥. ابن العبري ؛ تاريخ الدول السرياني ؛ طبعة بيجان ؛ باريس ١٨٩٠.

٦. أخبار الشهداء والقديسين ؛ المجلد الثاني ؛ طبعة بيجان ؛ ليبسك ١٨٩١.

٧. تقديس السنة المسيحية بقراءة سيرة القديسين اليومية لتنزّه الأنفس الروحية في روضة الكنيسة الكاثوليكية ؛ المجلد الثاني ؛ الموصل ١٨٩١ ؛ دير الابناء الدومنيكان ؛ طبعة الموصل.

٨. الأب بولس بيجان ؛ سير الشهداء والقديسين ؛ المجلد الثاني ؛ باريس ١٨٩١.

٩. تاريخ الرهاوي المجهول ؛ طبعة البطريرك رحماني ؛ دير الشرفة ١٩٠٠.

١٠. المطران أدي شير ؛ شهداء المشرق ؛ الجزء الأول ؛ الموصل ١٩٠٠.

١١. القس بطرس نصري ؛ ذخيرة الأذهان ؛؛ جزءان ؛ الموصل ١٩٠٥و١٩١٣.

١٢. المطران أدي شير ؛ سيرة أشهر شهداء المشرق ؛ المجلد الأول ؛ الموصل ١٩٠٦.

١٣. القس اسحق أرملة ؛ الزهرة الذكية للبطريركية السريانية الأنطاكية ؛ بيروت ١٩٠٩.

١٤. المطران أفرام نقاشة ؛ عناية الرحمان في هداية السريان ؛ بيروت ١٩١٠.

١٥. الفيكنت فيليب طرازي ؛ السلاسل التاريخية ؛ بيروت ١٩١٠.

١٦. المطران أدي شير ؛ تاريخ كلدو وأثور ؛ جزءان ؛ بيروت ١٩١٣.

١٧. الأب الراهب أفرام برصوم ؛ نزهة الأذهان في تاريخ دير الزعفران ؛ دير الزعفران ١٩١٧.

١٨. القس سليمان الصائغ (المطران سليمان صائغ) ؛ تاريخ الموصل ؛ الجزء الأول ؛ مصر ١٩٢٣.
١٩. القس اسحق أرملة ؛ أنباء الزمان في جثالقة المشرق ومفارنة السريان ؛ بيروت ١٩٢٤.
٢٠. القس اسحق أرملة ؛ السريان في القطر المصري ؛ بيروت ١٩٢٥.
٢١. البطريرك اغناطيوس أفرام رحماني ؛ دير مار متى الشيخ ودير مار بهنام الشهيد في جوار الموصل ؛ مجلة الآثار الشرقية ؛ المجلد الثالث ؛ دير الشرفة ١٩٢٨.
٢٢. الأخ روفائيل سمحيري ؛ الكوكب الدري في سيرة السيد اغناطيوس انطون سمحيري ؛ بيروت ١٩٢٩.
٢٣. كوركيس عواد ؛ أثر قديم في العراق ؛ الموصل ١٩٣٤.
٢٤. القس بولس شيخو (البطريرك بولس شيخو) ؛ الديورة في مملكتي الفرس والعرب ؛ ليشوعدناح البصري ؛ مترجم الى العربية ؛ الموصل ١٩٣٥.
٢٥. الخوري اسحق أرملة ؛ الطرفة في مخطوطات دير الشرفة ؛ جونية ١٩٣٦.
٢٦. البطريرك أفرام برصوم ؛ اللؤلؤ المنثور في تاريخ العلوم والآداب السريانية ؛ حمص ١٩٤٣.
٢٧. المقدمة التاريخية لدليل المتحف العراقي ؛ بغداد ١٩٤٣.
٢٨. الفيكنت فيليب طرازي ؛ عصر السريان الذهبي ؛ جدعون ؛ بيروت ١٩٤٦.
٢٩. تاريخ الأمة العربية قديماً وحديثاً ؛ الجزء الثاني ؛ ط. الأرض المقدسة ١٩٤٦.
٣٠. الفيكنت فيليب طرازي ؛ أصدق ما كان في تاريخ لبنان.وصفحة من تاريخ السريان ؛ ١٩٤٨.
٣١. كتاب آثار البلاد وأخبار العباد ؛ طبعة فسنفيلد ١٩٤٨.
٣٢. الخوري أفرام عبدال ؛ حياة الأميرين المعظمين بهنام وأخته سارة الشهيدين ؛ مطبعة الاتحاد الجديدة ؛ الموصل ١٩٤٩.

٣٣. د. محمود محمد البكري و د. مراد كامل ؛ تاريخ الأدب السرياني ؛ القاهرة ١٩٤٩.
٣٤. الخوري أفرام عبدال ؛ اللؤلؤ النضيد في تاريخ دير مار بهنام الشهيد ؛ مطبعة الاتحاد الجديدة ؛ الموصل ١٩٥١.
٣٥. الأب حنا فيي الذومنيكي ؛ الموصل المسيحية ؛ بالفرنسية ؛ بيروت ١٩٥٦.
٣٦. البطريرك اغناطيوس يعقوب الثالث ؛ دفقات الطيب في تاريخ دير القديس مار متى العجيب ؛ زحلة ؛ لبنان ١٩٦١.
٣٧. الأب ألبير أبونا ؛ شهداء المشرق ؛ الجزء الأول ؛ بغداد ١٩٨٥.
٣٨. الأب يوسف حبي ؛ أقدم كنائس العراق ؛ مجلة ما بين النهرين ؛ ١٩٨٦.
٣٩. الأب يوسف حبي ؛ مار بهنام بين الحدث والقصة ؛ محاضرة في كتاب اليوبيل المئوي السادس عشر لمار بهنام ؛ مطبعة الديوان ١٩٩٠.
٤٠. الأب د. بهنام سوني ؛ فهرس مخطوطات مكتبة دير مار بهنام الشهيد؛ ١٩٩٣.
٤١. المطران أفرام نقاشة ؛ تاريخ الأمة السريانية ؛ جزءان مخطوطان في مكتبة دير مار بهنام.
٤٢. المطران يوسف الدبس ؛ تاريخ سوريا ؛ المجلد الأول ؛ بيروت.

الفهرســـت

الموضـــوع	الصفحة
المقدمـــــة	٧
عهد كتابة حياة مار بهنام الأمير	١١
سنحاريب ملك تاريخي	١٣
قاعدة إمارة سنحاريب ومسقط رأس مار بهنام	١٦
– موقع مدينة آثور	١٨
تاريخ استشهاد مار بهنام	٢١
تسمية مار بهنام بـــ "خضر الياس"	٢٣-٢٤
– تاريخ هذه التسمية إلى مار بهنام	٢٣
– سبب هذه التسمية	٢٣
– مار بهنام في اعتقاد اليزيديين	٢٤
مار بهنام قديس عجائبي	٢٥-٣٥
– أولاً: الأدلة التاريخية التي تثبت إن مار بهنام قديس عجائبي	
١. فقرات من ترجمة هذا القديس	٢٥
٢. الكتابات الآثارية	٢٥
٣. شهادات المؤرخين	٢٦
٤. شهادات الشعوب الشرقية	٢٦
٥. المخطوطات	٢٦
– ثانياً: الواقـــع	
+ الأعجوبة الأولى	٢٧
+ الأعجوبة الثانية	٢٧
+ الأعجوبة الثالثة	٢٨

الموضـــوع	الصفحة
+ الأعجوبة الرابعة	٢٨
+ الأعجوبة الخامسة	٣٠
+ الأعجوبة السادسة	٣١
+ الأعجوبة السابعة	٣٣
+ الأعجوبة الثامنة	٣٤
عهد بناء معبد الضريح المعروف بـ "الجب"	٣٦-٣٨
– لماذا.. وكيف سُمّي معبد الضريح بـ "الجب"؟	٣٧
عهد بناء كنيسة الدير الأثرية	٣٩
مقام هذه الكنيسة في الشرق	٤٠
أثر مار بهنام التاريخي في المجتمع الشرقي	٤١
إدراج اسم مار بهنام في سفر القديسين	٤٢
الفناريط والمدائح	٤٣-٤٨
– الصلوات الفرضية	٤٣
انتشار سيرة مار بهنام	٤٨
القصائد والأرجوزات في مديح مار بهنام	٤٩
اتخاذ اسم مار بهنام، تيمّناً به، منذ القدم	٥١
الكنائس التي شُيّدت على اسم مار بهنام	٥٤-٦٠
١. كنيسة طرابلس	٥٥
٢. كنيسة القاهرة في مصر القديمة	٥٥
٣. كنيسة أربيل	٥٦
٤. كنيسة ماردين	٥٦
٥. كنيسة دمشق	٥٧

الموضــوع	الصفحة
٦. كنيسة مار بهنام في جزيرة ابن عمر	٥٨
٧. بيعة مار بهنام في تنورين	٥٩
٨. بيعة العذراء والشهيدين سرجيس وبهنام في كفر حورا	٥٩
٩. بيعة مار بهنام بجوار اللاذقية	٥٩
١٠. كنيسة مار بهنام في بلاد الحبشة	٥٩
١١. كنيسة مار بهنام في حلب	٦٠
١٢. هيكل مار بهنام في كنيسة بنابيل	٦٠
١٣. هيكل على اسم مار بهنام بالقدس	٦٠
١٤. مذبح مار بهنام في معبد سيدة النورية في بيروت	٦٠
الديورة التي شُيِّدت على اسم مار بهنام	٦١-٦٣
– دير على اسم مار بهنام في جوار كويسنجق	٦١
– دير آخر على اسم مار بهنام في مدينة لقخا في خورسان	٦٢
– دير مار بهنام فوق دير الزعفران	٦٢
سيرة حياة الأميرين البطلين الشقيقين بهنام وسارة الشهيدين	٦٥-٩٧
– يوليانوس يضطهد الديانة المسيحية	٦٥
– الرهبان يَمثُلون أمام الحاكم	٦٦
– تفرّق الرهبان	٦٧
– متى الشيخ في بلاد فارس	٦٧
– مار متى والعائلة المالكة في آثور	٦٨
– الأمير الشاب في الصيد	٦٨
– دعوة سماوية	٦٩
– شكّ .. فيقين	٦٩

الموضـــوع	الصفحة
– حديث بهنام مع متى الشيخ	٧٠
– بشارة الإنجيل	٧٠
– شروق النعمة	٧١
– بهنام يفاتح أمّه بدخيلة نفسه	٧٢
– عين ماء تنفجر في الأرض اليابسة	٧٥
– الشفاء العجائبي المنتَظَر	٧٥
– نعمة العماذ	٧٧
– الإرشادات الأخيرة الوداعية	٧٧
– سارة تجاهر لأبيها بإيمانها بالمسيح	٧٨
– الأميران أمام الملك ووزرائه	٧٩
– الجهاد البطولي في سبيل الإيمان	٧٩
– بهنام وسارة عند والدهما	٨٠
– الملك يستشير أرباب دولته	٨١
– المناداة بمهرجان شعبي	٨١
– إلى مذبح الشهادة	٨٣
– مار بهنام جاثياً يصلّي	٨٥
– صوت من العلاء	٨٦
– الضحيتان الكريمتان في جنّة الخلود	٨٦
– الأرض تتفتّح وتواري أشلاء الشهداء	٨٧
– العدل الإلهي	٨٧
– العناية الربّانية	٨٧
– العاهلان على ضريح ولديهما الشهيدين	٨٨

الموضـــوع	الصفحة
– خروج الشيطان	٨٩
– الديانة المسيحية في آثور	٨٩
– من مآثر سنحاريب الخالدة	٩٠
– عدد الرهبان يتكاثر مع الأيام	٩١
– اكتشاف كنز ثمين	٩١
– الضريح المجيد التالد والمزار الخالد	٩٣
– من محاسن الملكة	٩٤
– قبر تفيض منه نِعَم وبركات	٩٤
– رجل البِر .. اسحق المؤمن	٩٤
– مار بهنام يتراءى لاسحق	٩٥
– شفاء العبد الممسوس	٩٦
– مأثرة اسحق الخالدة	٩٦
– دير الجب .. مثوى لرفات الأميرين الشهيدين	٩٧
مديحة مار بهنام	٩٨
تساعية القديس بهنام وأخته سارة الشهيدين	١٠٥
حسّاي مار بهنام الشهيد (تقال في الجب)	١٠٧
المصادر والمراجع	١٠٩
الفهرست	١١٢

سيرة حياة
الأميرين البطلين الشقيقين
بهنام وسارة الشهيدين

إعداد الخورأسقف فرنسيس جحولا
رئيس دير مار بهنام

٢٠٠٥